تلخيص الأحكام إذا اجتمع العيدان

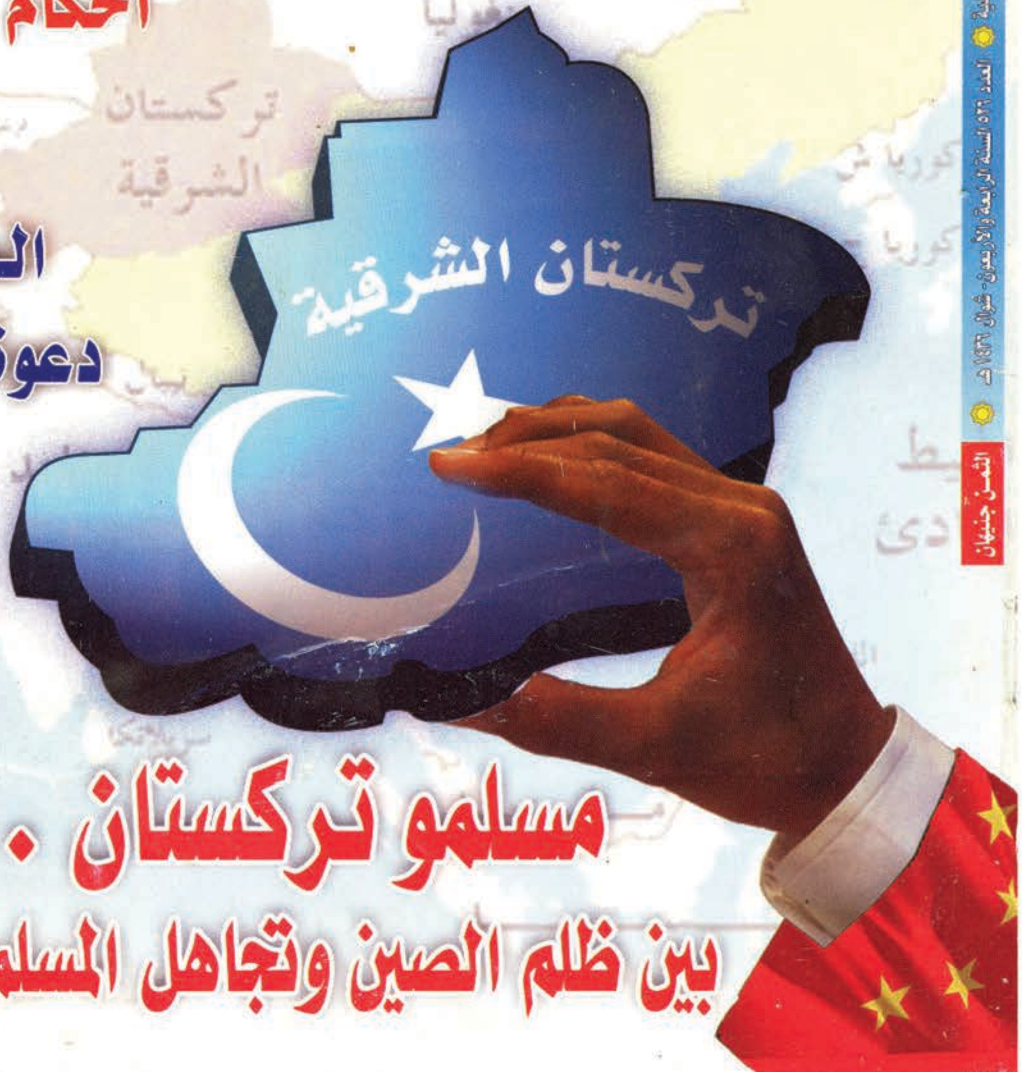
التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٣٦ السنة الرابعة والأربعون - شوال ١٤٣٦ هـ
الثمن جنيهان

صيام الست من شوال

زكاة الفطر.. أحكام وآداب

العيد دعوة للتآلف



مسلمو تركستان .. بين ظلم الصين وتجاهل المسلمين !!

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

أصدق العطاء والمواساة

دخل العيد على يعقوب بن شيبة وعنده مائة دينار، لا يملك غيرها، فكتب إليه أحد إخوانه يقول له: «قد أظلنا هذا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، فلو كان عندك ما ننفقه»؟ فجعل يعقوب المائة دينار كلها في صرة، وأرسلها إليه، فلم تمكث الصرة عند أخيه إلا يسيرًا حتى وردت إليه رسالة منْ أبي حسان القاضي يذكر له فيها ضيق الحال في العيد، وأن يرسل إليه ما ينفقه، فأرسل الرجل إلى أبي حسان الصرة التي جاءته من يعقوب كاملة، وبقي يعقوب وصاحبه لا شيء عندهما، ولا يعلم أحدهما بحال الآخر، فأرسل يعقوب إلى صاحبه أبي حسان يخبره بأن العيد جاءهم وليس عنده للصبيان شيء، فأرسل إليه أبو حسان الصرة التي جاءته كاملة، وهو لا يعلم أنها في الأصل كانت ليعقوب، فلما عادت إلى يعقوب صُرَّته بما فيها من الدنانير، ركب إلى أبي حسان ومعه الصرة، وقال له: ما شأن هذه الصرة التي أرسلتها إليَّ؟ فقال: أظلنا العيد ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، فأرسلت إلى فلان أخينا أسأله شيئًا فأرسل إليَّ هذه الصرة، فلما جاءتني رسالتك بعثتُ بالصرة إليك، فقال يعقوب لأبي حسان: قم بنا إليه، فتفاوضوا الحديث والتقوا جميعًا على أن يقتسموها أثلاثًا، لكل واحد منهم الثلث.

فأين نحن من هؤلاء؟!

التحرير

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

في هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

منهج المخالفين لأهل السنة في التعامل مع النصوص الشرعية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تحدثت في لقاءات سابقة عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع النصوص الشرعية، وموقفهم منها، وإتمامًا للفائدة أذكر هنا منهج المخالفين لأهل السنة في التعامل مع النصوص الشرعية، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

لقد سلك المبتدعة مسلكًا غريبًا مع الوحي الإلهي الذي جاءنا من عند الله- تبارك وتعالى- ويتجلى ذلك في الأمور التالية:

أولاً: الجرأة في رد النصوص التي تخالف قواعدهم:

وضع المخالفون للحق قواعد لأنفسهم ساروا عليها وانطلقوا من خلالها، وبناءً على ذلك ردوا نصوص الوحي المخالفة لما قعّدوه ووضعوه من عند أنفسهم، ومن ذلك: الجرأة العجيبة في رد النصوص الثابتة، قرآنًا كانت أم سُنة، ومن ذلك ما وقع من عمرو بن عبيد المعتزلي الذي قال في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي يقول فيه: «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق- قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا يؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد...». والحديث في أعلى درجات الصحة، فقد أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٣)، كما أخرجه غيرهما، ومع هذا قال عمرو بن عبيد فيه: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذّبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا»!! (ميزان الاعتدال ٤/١٩٨).

وهذا فيه تطاول على مقام رب العالمين جل وعلا ورسوله الأمين صلى الله عليه وسلم والصحب الكرام، ورواة السنة وحَمَلتها، والذي دفعه إلى ذلك معتقده الفاسد في القَدَر، وهو أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الرب الخالق لم يقدِّر أعمال العباد، وقد اغترَّ بعض الناس بما ورد في ترجمة عمرو هذا أنه كان زاهدًا عابدًا، حتى ذكر الذهبي رحمه الله أن المنصور رحمه الله كان يعظِّمه، غير أن الحافظ الذهبي رحمه الله كان دقيقًا مدافعًا عن الحق، فقال عقب ذكره لذلك: «اغتر بزهده وإخلاصه وأغفل بدعته». (سير أعلام النبلاء ٦/١٠٥).

وشأن المبتدعة ترك النصوص والنفرة منها وعدم احترامها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شأنهم: «وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل الشرعية، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب، فلا يحبون كتابًا ولا من معه كتاب، ولو كان مصحفًا أو حديثًا.. وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع أو القرآن، أو يكون معه كتاب أو يكتب، وذلك أنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم». (مجموع الفتاوى ١٠/٤١١، ٤١٢).

ونظير هؤلاء في عصرنا الحاضر من يرى أن النصوص تراث قديم لا يؤبه له، ولا يجوز الأخذ منه، وأن زمانه قد مضى، فلا حاجة إليه، وهذا انحراف وبُعد عن الحق الذي أنزله الحق سبحانه وتعالى، ويجب أن نعلم أن ما نزل من عند الله له حق التقديس والاحترام، والوقوف عنده وعدم تجاوزه أو رده، أو الطعن عليه، والقرآن الكريم والسنة النبوية هما أصل الدين وأساسه، فلا يجوز شرعًا العدول عنهما، أو السخرية والاستهزاء بأحدهما.

وقد قال الشيخ صديق حسن خان- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» (النساء:١٤٠): «وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها دون خصوص السبب دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية، كما يقع كثيرًا من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبقَ في أيديهم سوى: قال إمام مذهبنا، وقال فلان من أتباعه بكذا، وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوي سخروا منه ولم يرفعوا لما قاله رأسًا». (نقله عنه صاحب المنار في تفسيره ٦/٤٦٤).

وبناءً على ما تقدم أقول: كل ما جاء به الشرع المطهر أو نهى عنه، فحقه التصديق والتسليم والقبول، مع الإجلال والتعظيم، قال الله تعالى: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» (الحج:٣٢).

ومما ندين لله تعالى به أن كلام الله أصدق قيلاً وأحسن حديثًا، وأن نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم أعظم الناس علمًا وبيانًا، ولذلك فنقبل كل ما جاءنا عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نتوقف في شيء من ذلك، فضلاً عن أن نرده أو أن نرتاب فيه، ونقول بقول الأوزاعي رحمه الله: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٥٤).

وفي عصرنا الحاضر بلغت الجرأة عند بعض الناس على النصوص مبلغًا عظيمًا، فردوها ولم يقبلوها، ورأوا أنها لا تناسب العصر ولا تصلح لهذا الزمان، وأرد عليهم بقول الله تعالى: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (الملك:١٤).

ثانيًا: اتهام الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- بالتجهيل والكذب:

بلغت الجرأة بفريق من الناس أن يتهموا الأنبياء بالكذب على جمهورهم من باب مصلحتهم، وأن ما ذكروه عبارة عن خيالات وأمثال مضروبة لا حقيقة لها في واقع الأمر، وأنهم قصدوا به التخييل دون التحقيق، وقد تعرض ابن القيم رحمه الله إلى اختلاف هؤلاء الناس في نصوص الوحي إلى طوائف، وذكر منهم ما يلي: «أصحاب التخييل، وهؤلاء هم الذين اعتقدوا أن الرسل لم تفصح للخلق بالحقائق، إذ ليس في قواهم فهمها وإدراكها، وإنما خُيلت لهم وأبرزت المعقول في صورة المحسوس.. وحقيقة الأمر عند هذه الطائفة: أن الذي أخبرت به الرسل عن الله وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر لا حقيقة له، ولا يطابق ما أخبروا به، ولكنه أمثال وتخييل وتفهيم بضرب الأمثال».

ثم ذكر صنفًا آخر من هؤلاء وأطلق عليهم: أصحاب التجهيل وهؤلاء قالوا: «إن نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها». (انظر: الصواعق المرسلة ٢/٤١٨- ٤٢٢).

وهذا فيه تنقيص من قدر الأنبياء والمرسلين- صلوات الله وسلامه عليهم- الذين بينوا للخلق كل

ما أنزل إليهم بيانًا شافيًا، وهم أفصح الخلق بإطلاق، ونبينا صلى الله عليه وسلم أعلاهم في ذلك، ونحن في أنصار السنة المحمدية ندين لله ونشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح الطريق إلى الله غاية الوضوح، وأن الله تبارك وتعالى لم يقبضه إليه إلا بعد أن بلّغ البلاغ المبين صلى الله عليه وسلم، وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة التي هي أساس الدين، وتلقى ذلك منه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأجمعوا عليه.

يقول ابن تيمية رحمه الله في ذلك: «أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فَكُلُّ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إلى مَعْرِفَتِه وَاعْتِقَادِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ فَقَدْ بَيَّنَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بَيَانًا شَافِيًا قَاطِعًا لِلْعُذْرِ. إذْ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، وَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَقَامَ اللَّهُ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ فِيهِ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ بَيَّنُوهُ وَبَلَّغُوهُ. وَكِتَابُ اللَّهِ الَّذِي نَقَلَ الصَّحَابَةُ ثُمَّ التَّابِعُونَ عَنْ الرَّسُولِ لَفْظَهُ وَمَعَانِيَهُ، وَالْحِكْمَةُ الَّتِي هِيَ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ الَّتِي نَقَلُوهَا أَيْضًا عَنْ الرَّسُولِ مُشْتَمِلَةٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى غَايَةِ الْمُرَادِ وَتَمَامِ الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ إلَيْنَا رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِنَا يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِهِ وَيُزَكِّينَا وَيُعَلِّمُنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ؛ الَّذِي أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ وَرَضِيَ لَنَا الْإِسْلَامَ دِينًا ؛ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ «مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ». وَإِنَّمَا يَظُنُّ عَدَمَ اشْتِمَالِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ عَلَى بَيَانِ ذَلِكَ مَنْ كَانَ نَاقِصًا فِي عَقْلِهِ وَسَمْعِهِ وَمَنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ قَالُوا: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ»» (درء تعارض العقل والنقل ١/٢٧، ٢٨).

ثالثًا: الأخذ والعمل بالقرآن فقط دون السنة النبوية:

وهذا من العبث والتلاعب بالنصوص الشرعية الواردة من عند رب البرية؛ لأنه من المقطوع به في دين الإسلام أن السُّنَّة وحي من الله تعالى، والله في كتابه قد أمر باتباع ما جاءنا عن نبيه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر:٧).

ومجلة التوحيد الغراء قد تصدت للحملة الشرسة ضد السنة النبوية في الآونة الأخيرة، ولذلك فلن أقف هنا عند هذه المسألة، غير أنني أود أن أقرر أن هذا من مسلك المبتدعة في التعامل مع النصوص الشرعية، وفرق الضلال على مدار تاريخهم وقعوا في ذلك، ومن هؤلاء الخوارج. يقول ابن تيمية رحمه الله: «وَالْخَوَارِجُ جَوَّزُوا عَلَى الرَّسُولِ نَفْسِهِ أَنْ يَجُورَ وَيُضِلَّ فِي سُنَّتِهِ وَلَمْ يُوجِبُوا طَاعَتَهُ وَمُتَابَعَتَهُ وَإِنَّمَا صَدَّقُوهُ فِيمَا بَلَّغَهُ مِنْ الْقُرْآنِ دُونَ مَا شَرَعَهُ مِنْ السُّنَّةِ الَّتِي تُخَالِفُ - بِزَعْمِهِمْ - ظَاهِرَ الْقُرْآنِ. وَغَالِبُ أَهْلِ الْبِدَعِ غَيْرِ الْخَوَارِجِ يُتَابِعُونَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى هَذَا» (مجموع الفتاوى ١٩/٧٣).

وفي القرن الماضي ظهرت طوائف أنكروا كثيرًا من السنة النبوية، وبعضهم أطلق على نفسه لقب: «القرآنيون» للدلالة على أخذهم بالقرآن فحسب، وهذا من الضلال المبين، وحقيقة حالهم رد القرآن والسنة معًا.

يقول البربهاري رحمه الله: «وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه». (شرح السنة ص٥٤).

وقد كان السلف يعملون بالسنة الصحيحة كما يعملون بالقرآن، يقول المعتمر بن سليمان: سمعت أبي يقول: «أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عندنا كالتنزيل، قال أبو موسى: يعني في الاستعمال، يستعمل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يستعمل كلام الله عز وجل». (ذم الكلام للهروي ٢/٧٠).

كما كانوا يذمون ويطرحون من يطعن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن محمد بن عبد الوهاب قال: قلت لعلي بن غنام: «رجل يقول ليس في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه، فقال: هذا فاجر، فأين الفقه وأين الخير إلا فيه». (المرجع السابق ٢/٧١).

رابعًا: الأخذ ببعض نصوص الوحي دون البعض:

من منهج أهل السنة والجماعة عند بحث مسألة أو نازلة: جمعُ النصوص الواردة فيها، ووضع كل

نص في موضعه وما يدل عليه، وهذا فيه- بفضل الله- سلامة من الزيغ والانحراف في فهم النصوص، أما المبتدعة فهم يأخذون نصًا ويتركون آخر ورد في الباب نفسه، وكان ذلك سببًا في وقوعهم في البدع والضلال، والانحراف عن الفهم الصحيح.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ومن هنا نتبين الضلالات المبتدعة في هذه الأمة، حيث هي من الإيمان ببعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دون بعض، وإما ببعض صفات التكليم والرسالة والنبوة دون بعض». (مجموع الفتاوى ١٢/١٥).

ومن هنا أقول: إنه لا يجوز أن يُؤخذ نص ويُطرح نظيره في نفس الباب، أو أن تُعمل مجموعة من النصوص وتُهمل الأخرى، لأن هذا يؤدي إلى نتائج باطلة، وخروج عن الحق والصواب.

- قال الإمام أحمد رحمه الله: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا». (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٢١٢).

وقال الشاطبي رحمه الله: «ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض؛ فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر بمبينها» (الاعتصام ١/٢٤٤).

ومما يلتحق بهذا المعنى: جمع روايات الحديث الواحد، والنظر في أسانيده وألفاظه معًا، وقبول ما ثبت وطرح ما لم يثبت، وقد قيل: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تتبين علله»، والفرق المخالفة للحق لما أهملت ذلك وقعت في ضلال مبين، وذلك كالخوارج الذين أخذوا بنصوص الوعيد فحسب، وتركوا نصوص الوعد، فأداهم ذلك إلى تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بغير حجة أو برهان، فهم أخذوا ووقفوا فقط عند قول الله تعالى: «وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (النساء:١٤)، وظنوا أن أدنى عصيان يقع به هذا الوعيد، ولم ينظروا إلى قول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ» (النساء:٤٨). والآيتان في سورة واحدة من كتاب الله.

وقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله موقفًا طريفًا بيَّن فيه جهل هؤلاء في هذه المسألة فقال: «حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدثنا قريش بن أنس قال: سمعت عمرو بن عبيد يقول: يؤتى بي يوم القيامة، فأقام بين يدي الله، فيقول لي: لم قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (النساء: ٩٣)، قلت له وما في البيت أصغر مني: أرأيت إن قال لك: قد قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر. قال: فما استطاع أن يرد عليَّ شيئًا». (تأويل مختلف الحديث ص٥٧).

وقد قابل المرجئة الخوارج في هذه المسألة فاقتصروا على نصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، فوقعوا أيضًا في ضلال مبين؛ حيث لم يروا أي قيمة للعمل بالإسلام، وقالوا: لا يضرَ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وذهبوا إلى أن إيمان الناس كلهم سواء واستندوا في ذلك إلى أدلة منها حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» (مسلم: ٤٣).

وتركوا نصوص الوعيد الواردة أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الزاني وشارب الخمر، وغير ذلك، وقد هدى الله أهل السنة إلى الحق ووُفقوا للصواب، فأخذوا بجميع النصوص الواردة، وألفوا بينها تأليفًا مستقيمًا يزيل كل إشكال، ويدفع أي وهم أو اضطراب، ولو نظر العاملون في الساحة الإسلامية اليوم إلى ما كان عليه أهل السنة من الهدى لتركوا الإفراط والتفريط، وتعاملوا بعلم وفقه مع جميع النصوص، ولو فعلوا ذلك لنجوا بأنفسهم وبالأمة من ألوان متعددة من الزيغ والضلال.

وأعوذ بالله من الخذلان، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كلمة التحرير

مسلمو تركستان بين ظلم الصين وتجاهل المسلمين

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله أعزنا بالإسلام فكفى بها نعمة، والصلاة والسلام على رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم.. وبعد:

نحمد الله تعالى أن بلغنا رمضان، وها نحن نودعه، فاز فيه من كتب الله له الفوز، وخسر فيه من خسر، ومر الشهر الكريم وحال أمتنا لا يسر أحدًا، وفي ظل ما يحاول به أعداؤنا أن يشغلونا بكل ما أوتوا من قوة، ننسى شعوبًا مسلمة ولا نعرف عنها إلا القليل، ففي العدد السابق تحدثنا عن مسلمي بورما الذين نسيناهم، واليوم نتحدث عن شعب مسلم آخر، في إقليم شينجيانغ «تركستان الشرقية»، الذين منعتهم الحكومة الصينية من ممارسة شعائرهم، ومنعتهم من صيام شهر رمضان، ولم تسمح لهم بالذهاب إلى المساجد لأداء الصلوات في إقليم يسكنه أكثر من ٩٥٪ من المسلمين، يعانون أشد أنواع الاضطهاد الديني، ومُنعوا من أداء الصلوات في جماعة، وكذلك صلاة التراويح في رمضان، وقد سعى المسلمون هناك لإعادة إقامة دولة إسلامية كانت قائمة باسم «تركستان الشرقية»، قبل أن تضمها الصين عنوة في ثمانينيات القرن التاسع عشر، ثم أحكمت قبضتها عليها حين تولى الشيوعيون الحكم عام ١٩٤٥م، وأطلقت عليها اسم «سينليانغ»، أي: المقاطعة الجديدة. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

جرائم الشيوعية ضد المسلمين !!

وتركستان الشرقية دولة مسلمة تئن من ويلات الاحتلال الصيني الشيوعي الذي لا يرقب في أهلنا هناك إلا ولا ذمة، مُتبعًا معهم أشد أنواع التعذيب والقمع، من قتل، وتهجير، وتشريد، بهدف محو الهوية الإسلامية عنها،

أو تهجيرهم ليُحلّ محلهم الجنسيات الصينية بهدف محو الإسلام من تركستان.

ومما يُحزن القلب أن كثيرًا من المسلمين في العالم لا يكاد يعرف عن تركستان وأهلها شيئًا، كغيرها من الدول الإسلامية التي لا نكاد نسمع أو نعرف عنها سوى الاسم. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تركستان .. الموقع والمعنى

وكلمة تركستان مكونة من شقين: الأول: «ترك»، والثاني: «ستان»، وهي تعني أرض الترك، وهي دولتان: الأولى: تركستان الشرقية، والثانية: تركستان الغربية، أما تركستان الشرقية فهي الأرض الواقعة تحت الاحتلال الصيني، وقد أطلق عليها الصينيون اسم «سينكيانج» أي: المقاطعة الجديدة، ويسمى سكانها الأصليون بـ «الإيجور».

وتقع تركستان الشرقية وسط آسيا، وتحدها من الشمال الشرقي منغوليا، والصين من الشرق، ومن الشمال والغرب كازاخستان وقيرغيزستان وطاجكستان، ومن الجنوب التبت وكشمير والهند وباكستان.

مآسي المسلمين في تركستان الشرقية

إن شعب الإيجور المسلم الذي يعيش في تركستان الشرقية التي تقع تحت الحكم الصيني حاليًا، قد ظهر منها علماء أثروا الحضارة الإسلامية؛ كالسمرقندي، والزمخشري، وساعدت جيوشهم بصورة كبيرة في الفتوحات الإسلامية التي وصلت رومانيا وغيرها من الدول الأوروبية.

ودولة تركستان الشرقية من الدول التي ابتلعتها الصين الشيوعية في سنة ١٩٤٩م في ظل غفلة المسلمين عن قضاياهم الماسَّة، ونتيجة لفُرقة المسلمين وتشتتهم، وهي أرض إسلامية خالصة.

وقد اتبعت الصين أساليب القمع والاضطهاد والتشريد ضد مسلمي تركستان، وخاصة منذ أوائل التسعينيات، وذلك عندما تحررت الجمهوريات الإسلامية في جنوب الاتحاد السوفييتي، وبدأت تظهر دعوات «حق تقرير المصير» في تركستان الشرقية، فكان الرد عنيفًا من السلطات الصينية، وامتلأت السجون من أصحاب الرأي، وقُتل منهم أعدادٌ غفيرة، وتم نفي بعض الرموز خارج الصين.

ولقد زادت وتيرة الاضطهاد كثيرًا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م في أمريكا؛ وذلك لتحرُّك العالم تحت مظلة ما أطلق عليه «الحرب ضد الإرهاب»!! واستغلت الصين الفرصة لتعلن عن اكتشافها خلايا إرهابية في التركستان، متعاونة - على حد وصفها - مع تنظيم القاعدة!! ومن ثم أصبحت الحرب الصينية على المسلمين علنية، وكان على أمريكا أن تغضَّ الطرف عن جرائم الصين!! حيث إنها لغة المصالح، لتغض الصين أعينها عن الانتهاكات الأمريكية في العراق وأفغانستان وجوانتانامو، والضحية في كل الأحوال هم المسلمون!!

والشيوعيون الصينيون يدركون أن سر قوة المسلمين يكمن في عقيدتهم، ولذا رأى الصينيون أن الوسيلة الفعالة والمؤثرة ضد مسلمي تركستان الشرقية ومسلمي الصين عمومًا هو محو وطمس الهوية الإسلامية؛ لذا فهم يغلقون الكثير من المساجد والمدارس الدينية، ويمنعون الشباب تحت ١٨ سنة من الصلاة في المساجد، كما تحاول الصين إقناع المسلمين في تركستان بأنهم يمتلكون حكمًا ذاتيًا داخل الدولة الصينية، مع التهميش والإقصاء السياسي، والتقليل الدائم من أعداد المسلمين الإيجور، أهل التركستان الأصليين، وكذلك التقليل من أعداد المسلمين عمومًا في الصين من خلال الإحصائيات التي تصدرها السلطات الصينية هناك!!

كما اتبعت السلطات الصينية سياسة التهجير للمسلمين من التركستان إلى بقية أجزاء الصين، وخاصة من عرق الإيجور، بهدف

تذويبهم في المجتمع الصيني، إضافة إلى تقليل أعدادهم في الدولة الأم تركستان، والتهجير العكسي للصينيين من عرقية «الهان» إلى تركستان الشرقية، والتوطن الدائم بُغية تغيير التركيبة الديمجرافية للسكان، فتصبح بعد فترة من الزمان غير إسلامية بشكل تلقائي، حتى تغيرت بالفعل التركيبة السكانية، فبينما كانت نسبة المسلمين في الإقليم عام ١٩٤٢م ٩٠٪ كان ٧٨٪ من الإيجور، و١٢٪ من عرقيات أخرى، كانت نسبة عرقية الهان الصينية ٦٪ فقط، و٤٪ من العرقيات المختلفة الأخرى، أصبح «الهان» في عام ٢٠٠٨م يمثلون نسبة ٤٠٪ من نسبة السكان مما يشكل خطورة شديدة تهدد مستقبل هذه المنطقة!! وتهدف الصين لتوطين نحو ٢٠٠ مليون من الصينيين الهان في تركستان.

الإسلام في الصين وتركستان

تعود صلة الصين بالإسلام والمسلمين إلى عصر الخلفاء الراشدين، حيث توالت عليها البعثات، مع اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية في آسيا، ووصلت التخوم الغربية للصين، ومن أبرز قادة المسلمين الذين وصلوا إليها «قتيبة بن مسلم الباهلي»، وكان للقوافل التجارية بينها وبين مناطق غرب آسيا أكبر الأثر على انتشار الإسلام في الصين؛ حيث عُرف طريق هذه القوافل بين التجار بـ «طريق الحرير».

وفي عصر حكم أسرتي تانج وسونج الذي تزامن مع عصر الحكم الأموي، أطلق الصينيون اسم «التاتش» على البعثات الإسلامية، وأضيف إليها اسم «أصحاب الملابس البيضاء»، ثم أطلقوا على المسلمين اسم «أصحاب الملابس السوداء» خلال الحكم العباسي.

وفي العصر المغولي الذي بلغ أوجه في القرنين الثاني عشر، والثالث عشر الميلاديين، عاش المسلمون في الصين نهضة كبرى، أثرت وظهرت في كل المناحي، وزاد نفوذهم ليتقلدوا منا صب رفيعة، وتنتشر في الصين الداخلية قبائل «هان» التي تعتنق الكونفشيوسية والطاوية والبوذية، بينما تنتشر في المناطق الأخرى التي تسمى الصين الخارجية الدين الإسلامي والمذهب البوذي.

وقد عرفت تركستان الإسلام منذ عهد معاوية رضي الله عنه، وتمكن القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي من إتمام فتحها سنة ٩٦هـ، ونظرًا لتوسط تركستان القارة الآسيوية، فقد تحولت إلى مركز رئيس لنشر الإسلام في كافة ربوع آسيا.

تركستان مركز اتصال للصين بدول الجوار

وتمثل مساحة تركستان الشرقية أهمية كبيرة لاستيعاب التزايد السكاني الكبير في مناطق جنوب وشرق الصين، وتهدف الصين لتوطين ٢٠٠ مليون هاني في تركستان كما أشرنا آنفًا لتغيير الوضع الديمغرافي.

وبحسب ما أشارت إليه وكالة الأنباء التركستانية: فإن تركستان الشرقية تعد أكبر المقاطعات من حيث المساحة، حيث تبلغ مساحتها ١,٦ مليون كم٢، وذلك حسب التقديرات الرسمية الصينية، ومن ثَمَّ فهي تبلغ نحو سدس مساحة الصين وهي حوالي ٩,٥٦١ مليون كم٢، وتتراوح التقديرات لمساحة تركستان الشرقية ما بين ١,٧١٠,٤٥ مليون كم٢، و١,٨٢٨ مليون كم٢، طبقًا للتقديرات الصادرة قبل عام ١٩٤٩م، أي قبل سيطرة الصين الشيوعية عليها.

والمساحة المنقوصة عن مساحتها الرسمية حاليًا اقتطعت من تركستان، وأضيفت إلى مقاطعتي كانسور وتشينغهاي المجاورتين لها، كما تنازلت الصين لروسيا عن مساحة تقدر بـ ٧٠ ألف متر مربع في إطار بعض التسويات السياسية بينها عام ١٨٨١م، وذلك مقابل حصول الصين من روسيا على ٩ مليون روبل!!

وقد استخدمت الصين أراضي تركستان الشاسعة، وبالأخص في منطقة «لوبانور» لإقامة مركز التجارب النووية الصيني، وأجرت فيه نحو ٤٥ تفجيرًا ذريًا منذ عام ١٩٦١م، حتى وقَّعت على اتفاقية الحظر الشامل للتجارب النووية

عام ١٩٩٦م كما تنتشر العديد من مصانع استخلاص اليورانيوم، وتخصيبه لإنتاج الوقود النووي، وللصناعات النووية السلمية والعسكرية في كثير من المناطق التركستانية.

وتركستان بمساحتها الكبيرة، تُعَدُّ مركز اتصال مهم للصين بالعديد من الدول، وهي منغوليا الشعبية، وروسيا، وقازاقستان، وقيرغيزنا، وطاجتكستان، وأفغانستان، ومنطقة كشمير، ويبلغ طول حدودها مع تلك البلدان نحو ٥٤٠٠ كم٢، أي حوالي ربع إجمالي طول الحدود الصينية مع الدول المجاورة.

تركستان وأياد بيضاء في إنقاذ الأمة الإسلامية

ويقدر عدد المسلمين في الصين بأكثر من تعداد سكان الولايات المتحدة الأمريكية كلها، وقد أكدت صحيفة الأيام البحرينية أن عدد المساجد في الصين يبلغ أكثر من مائة ألف مسجد منتشرة في أنحاء الصين، وقد بُني أقدم هذه المساجد قبل أكثر من ١٣٥٠ سنة في مدينة كايتون والتي تحوي أكبر عدد من المسلمين هناك!!

وتتكون القوميات الإسلامية في الصين من عشر قوميات وهي:

١- هوى: وهي من الصينيين.

٢- الأوزبك: من الأتراك.

٣- دونفشيانج: وهي من المغول.

٤- سالار: من الأتراك.

٥- بآوان: من المغول.

٦- الإيجور: وهم يشكلون العنصر الرئيس للقوميات هناك.

وتشير الإحصائيات إلى أن ٩٩,٩٪ من المسلمين في الصين هم من أهل السنة والجماعة، ولا يوجد بينهم رافضي واحد.

كما تشير الإحصائيات الرسمية غير الحقيقية التي تصدرها السلطات هناك، وتتعمد التدليس فيها، إلى أن عدد المسلمين في الصين يبلغ ٣٠ مليون نسمة، بينما كل الإحصائيات تشير إلى أن عدد المسلمين يتراوح ما بين ١٠٠ مليون، و١٣٠ مليون نسمة.

وتعد الدولة الإخشيدية الطولونية والسلجوقية، من العنصر التركي الآتي من تركستان الشرقية، وكم كان للعصر التركستاني أياد بيضاء في إنقاذ الأمة الإسلامية، وصدِّ الزحف الصليبي عنها، كما كان لذلك الشعب من العوامل ما جعلته من أقوى الشعوب الإسلامية، فضلاً عن كونه من أكثر الشعوب تمسكًا بالعقيدة، والتزامًا بالشعائر الإسلامية، وحفاظًا على التراث الإسلامي.

كما تحوي أرض تركستان أكثر من ٨ مليارات طن من احتياطي البترول، وتنتج منه ٥ بلايين طن في العام، فضلاً عن وجود احتياطي في الأراضي التركستانية من الفحم ما يبلغ نصف احتياطي الصين من الفحم والسعرات الحرارية العالمية.

ويستخرج من أراضي تركستان نحو ١١٨ نوعًا من المعادن من أصل ١٤٨ نوعًا تنتجه الصين بأكملها.

ومع هذا القمع فإن الشعب التركستاني مازال يحتفظ بهويته، وما زال قلبه ينبض بكلمة التوحيد، بل إن حرصهم على الإسلام يزداد يومًا بعد يوم، والحكومات والشعوب الإسلامية مازالت في غفلة عن هذا الشعب المسلم الشقيق، فأين أنتم يا أمة الإسلام من القيام بدوركم لمساندة إخوانكم الإيجور ذلك الشعب المسلم الذي يعاني ويلات الاحتلال، ومحاولة محو الهوية، فهم من أشد أهل الأرض بلاء، وأوجبهم نصرة، بل هم في أشد الحاجة لدعائكم.

فاللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تفسير سورة الزخرف

الحلقة الخامسة

قال تعالى: « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
(٤٦) فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا
نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩)
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠)
وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ
مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
(٥١) أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ
يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَٱسْتَخَفَّ
قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّآ
ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ
(٥٥) فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ (٥٦) ۞
وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ
(٥٧) وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا
جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا
عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) »

(الزخرف: ٤٦- ٥٩)

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

قِصَّةُ مُوسَى عليه السلام:

لَمَّا قَرَّرَ اللَّه تَعَالَى أَنَّ التَّوْحيدَ هُوَ دَعْوَةُ جَميعِ الْمُرْسَلينَ ذَكَرَ طَرَفًا منْ نَبَأ اثْنَيْنِ منْ أُولي الْعَزْمِ منَ الرُّسُلِ، وَهُمَا مُوسَى وَعيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

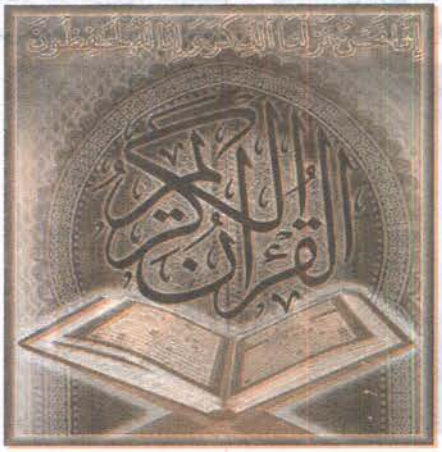
« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بآيَاتنَا إلَى فرْعَوْنَ وَمَلَئه فَقَالَ إنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمينَ »:

الْآيَاتُ جَمْعُ آيَة، وَهيَ الْمُعْجزَةُ الَّتي يُؤَيِّدُ اللَّه بهَا رُسُلَهُ، تَصْديقًا لَهُمْ في ادِّعَاء الرِّسَالَة، وَقَدْ أَيَّدَ اللَّه تَعَالَى مُوسَى عليه السلام بتسْع آيَات، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا » (الإسراء: ١٠١)، وَالْآيَاتُ التِّسْعُ هيَ: الْعَصَا، يُلْقيهَا فَتَصيرُ حَيَّةً تَسْعَى، وَيَدُهُ، يُدْخلُهَا في جَيْبه، ثُمَّ يُخْرجُهَا، فَإذَا هيَ بَيْضَاءُ للنَّاظرينَ، قَالَ تَعَالَى: « وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ » (الأعراف: ١٠٤- ١٠٨)، فَهَاتَانِ آيَتَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: « وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ » (الأعراف: ١٣٠)، فَتلْكَ أَرْبَعٌ، وَالْخَمْسُ الْبَاقيَاتُ هُنَّ الْمَذْكُورَاتُ في قَوْله تَعَالَى: « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا

مُجْرِمِينَ » (الأعراف: ١٣٣)، وَلِذَلِكَ قَالَ هُنَا: «فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا » يَعْنِي الْآيَةَ الَّتِي سَبَقَتْهَا، فَالْآيَاتُ السَّبْعُ وَهُنَّ السِّنُونَ وَمَا بَعْدَهَا، كُلُّ آيَةٍ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَرْتَدِعُوا بِهَا، وَلَمْ يَرْجِعُوا عَنِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ الَّذِي هُمْ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ هِيَ رُجُوعُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» فَلَمْ يَرْجِعُوا، وَكُلَّمَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ لَجَئُوا إِلَى مُوسَى عليه السلام:

«وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ »:

وَالْمَقَامُ هُنَا مَقَامُ إِجْلَالٍ وَتَعْظِيمٍ، لَا مَقَامَ سُخْرِيَةٍ وَاسْتِهْزَاءٍ، فَقَوْلُهُمْ: «يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ» بِمَعْنَى الْعَالِمِ الْكَبِيرِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي زَمَانٍ انْتَشَرَ فِيهِ السِّحْرُ، وَعَظُمَتْ مَكَانَةُ السَّحَرَةِ، «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ» أَنْ يُجِيبَكَ إِذَا دَعَوْتَهُ، ادْعُهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا الْعَذَابَ، وَ «إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ» إِذَا كَشَفَ رَبُّكَ عَنَّا الْعَذَابَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: « وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ » (الأعراف: ١٣٤).



فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمُ الْعَذَابَ، لَكِنَّهُمْ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ وَلَمْ يَفُوا لِرَبِّهِمْ وَلَا لِنَبِيِّهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ»، وَقَالَ فِي الْأَعْرَافِ: « فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ » (الأعراف: ١٣٥)، و «إِذَا» هَذِهِ الَّتِي تُسَمَّى الْفُجَائِيَّةَ، وَهُوَ تَعْبِيرٌ عَنْ سُرْعَةِ انْتِكَاسِهِمْ وَعَوْدَتِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

«وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ »:

أَرَادَ -لَعَنَهُ اللهُ- أَنَّهُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ مُوسَى، لِأَنَّ لَهُ مُلْكَ مِصْرَ، وَلَيْسَ لِمُوسَى مُلْكٌ، وَلَهُ قُصُورٌ مُشَيَّدَةٌ، وَجَنَّاتٌ وَأَنْهَارٌ، وَ زُرُوعٌ وَ ثِمَارٌ، وَلَيْسَ لِمُوسَى مِثْلُهَا، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ عَيِيُّ اللِّسَانِ، لَا يَكَادُ يُفْصِحُ عَمَّا يُرِيدُ.

ثُمَّ اقْتَرَحَ- لَعَنَهُ اللهُ- أَنْ يُقَلِّدَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى قِلَادَةَ الْمُلْكِ، أَوْ يُنَزِّلَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةَ يُؤَيِّدُونَهُ وَيَحْفَظُونَهُ، فَقَالَ: «فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ»، وَكَانُوا إِذَا مَلَّكُوا أَحَدًا عَلَيْهِمْ أَلْبَسُوهُ سَوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، وَقَلَّدُوهُ قِلَادَةً مِنْ ذَهَبٍ، دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ صَارَ مَلِكًا، فَقَالَ فِرْعَوْنُ- لَعَنَهُ اللهُ-: إِذَا كَانَ اللهُ قَدْ بَعَثَ مُوسَى مَلِكًا، فَلِمَاذَا لَمْ يُتَوِّجْهُ بِتَاجِ الْمُلْكِ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يُنَزِّلْ مَعَهُ الْمَلَائِكَةَ يُصَدِّقُونَهُ، وَيَحْفَظُونَهُ، وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ؟! وَنَسِيَ- لَعَنَهُ اللهُ - أَنَّ اللهَ حَفِظَ مُوسَى عليه السلام وَهُوَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، وَسَخَّرَ لَهُ فِرْعَوْنَ نَفْسَهُ لِيَرْعَاهُ وَيَقُومَ عَلَى تَرْبِيَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْأُلُوفَ مِنْ ذُكْرَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ الصَّبِيِّ الَّذِي سَتَكُونُ نِهَايَةُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِهِ، وَهُوَ مُوسَى عليه السلام.

«فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ »:

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَاسْتَخَفَّ فِرْعَوْنُ خَلْقًا مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْقِبْطِ، بِقَوْلِهِ الَّذِي أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ

منه فأطاعوه، وكذبوا موسى، قال الله تعالى: وإنما أطاعوا واستجابوا لما دعاهم إليه عدو الله من تصديقه، وتكذيب موسى، لأنهم كانوا قومًا عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم، وطبعه على قلوبهم.

يقول تعالى ذكره: «فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ»:

يقول الله تبارك وتعالى: «فلمّا آسفونا» أي أغضبونا، «انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين» يقول سبحانه: انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم، فأغرقناهم جميعًا في البحر.

«فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين»: فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدمة يتقدمون -إلى النار -كفار قومك من قريش، وكفار قومك لهم بالأثر. «ومثلًا للآخرين» أي وجعلناهم عبرة وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم، فينتهوا عن الكفر بالله عز وجل. (جامع البيان (٢٧/ ٨٥)).



قصة عيسى عليه السلام:

يقول تعالى مخبرا عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ»: قال غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وعكرمة والسدي والضحاك - رحمهم الله- : يضحكون، أي أعجبوا بذلك. وقال قتادة -رحمه الله-: يجزعون , ويضحكون. وقال إبراهيم النخعي- رحمه الله-: يعرضون.

وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، ثم تلا عليه: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» (الأنبياء: ٩٨).

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عبد الله بن الزبعرى التميمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، سلوا محمدًا: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرًا، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم! فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته)) فأنزل الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» (الأنبياء: ١٠١) أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان، الذين مضوا على طاعة الله عز وجل، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله.

ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة، وأنهم بنات الله: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» (الأنبياء: ٢٦-٢٩).

ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه السلام، وأنه يعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضر من حجته وخصومته: «ولما ضرب ابن مريم مثلا

إذا قومك منه يصدون» أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله.

وذكر ابن جرير- رحمه الله- من رواية العوفي- رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنه: قوله: «ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون» قال: يعني قريشا، لما قيل لهم: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون» (الأنبياء: ٩٨). إلى آخر الآيات.

فقالت له قريش: فما ابن مريم؟ قال: ((ذاك عبد الله ورسوله)). فقالوا: والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه ربًّا، كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربًّا، فقال الله عز وجل: «ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون».

وقال الإمام أحمد- رحمه الله-: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين، عن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصاري، قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها، أو لم يفطنوا لها فيسألوا عنها. قال: ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غدا، فلما راح الغد، قلت: يا ابن عباس! ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها. قال: نعم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش: ((يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير)).

وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام، وما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد: ألست تزعم أن عيسى عليه السلام كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا، فإن كنت



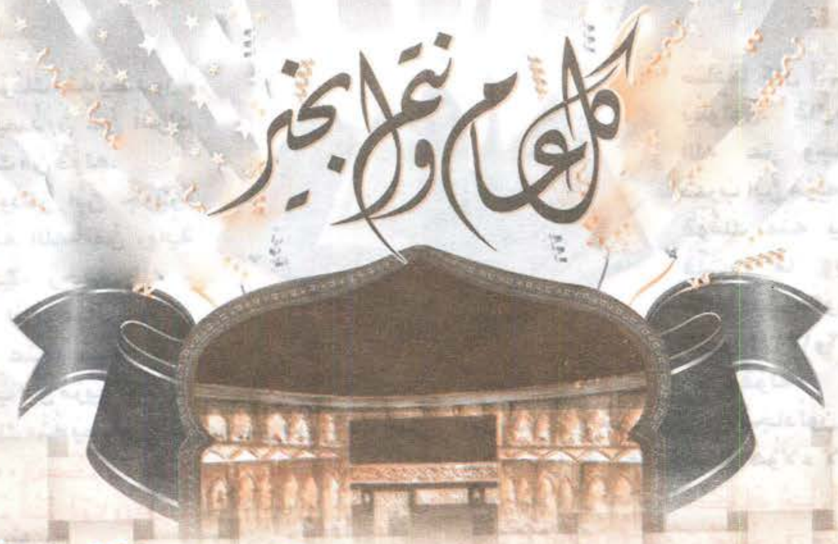
صادقا كان آلهتهم كما يقولون. قال: فأنزل الله عز وجل: «ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون». قلت: ما يصدون؟ قال: يضحكون. (ابن كثير(٤/١٣١و١٣٢)).

وقوله تعالى: «بل هم قوم خصمون» أي يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، وأمثال هؤلاء لا يهديهم الله، كما قال تعالى: «كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» (غافر: ٣٥).

ثم ذكر الله تعالى حقيقة عيسى ابن مريم، فقال: «إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل»:

«إن هو» أي عيسى عليه السلام «إلا عبد» لا رب، ولا إله، ولا ابن الإله، كما صرح بذلك هو نفسه، وهو في المهد صبيًّا، «قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا» (مريم: ٣٠)، «أنعمنا عليه» بالنبوة والرسالة، «وجعلناه مثلا لبني إسرائيل» يستدلون به على كمال قدرة الله تعالى، حيث خلق عيسى من أنثى دون أن يمسها بشر، كما قال الله تعالى: «قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا (٢٠) قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس» (مريم: ٢٠- ٢١)، على كمال قدرتنا، فإن الله تعالى خلق آدم من تراب، من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من آدم، من ذكر بلا أنثى، وخلق من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، ثم خلق عيسى من مريم دون أن يمسها ذكر، فتمت القسمة الرباعية، التي تدل على قدرة خالق البرية سبحانه وتعالى. «ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون» (مريم: ٣٤- ٣٥).

وللحديث بقية إن شاء الله.



العيد دعوة للتآلف

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعدُ،

فالعيدُ شعيرة من شعائر الإسلام، ومظهر من أجل مظاهره، فإنه اليوم الذي توّج الله به شهر الصيام، وافتتح به أشهر الحج إلى بيته الحرام وأجزل فيه للصائمين والقائمين جوائز البر والإكرام، عيد امتلأت القلوب به فرحًا وسرورًا وازدانت به الأرض بهجة ونورًا؛ لأنه اليوم الذي يخرج فيه المسلمون إلى مصلاهم لربهم حامدين معظمين، وبنعمته بإتمام الصيام والقيام مغتبطين، ولخيره وثوابه مؤملين، راجين أن يتقبل الله منهم الصيام والقيام وسائر الطاعات والفوز بالجنة والعتق من النار.

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

فيوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته، وخلص لله نيته، والمجتمع السعيد الصالح هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذروة، وتمتد فيه مشاعر الإخاء، تخفقُ فيه القلوب بالحب والودِّ والبر والصفاء، لا سيما والمسلمون جميعًا كانوا بالأمس يقومون بعبادة واحدة في وقت واحد، وفي لحظة واحدة، لحظة الإفطار انتظر الجميع تكبير المؤذن، فيحمدوا الله على إتمام صومهم ويفرحوا بفطرهم، وفي الليل يقومون خلف إمام واحد يقف كلٌّ منهم إلى جانب الآخر، فليكن هذا التوحيد بين القلوب كما هو في المظهر والصورة.

فكم هو جميلٌ أن تظهر أعيادُ المسلمين بمظهر الواعي لأحوالها وقضاياها، وإننا اليوم بحاجة ماسة إلى التآلف والتناصح وتوحيد القصد والعمل والتعاون في الحق؛ لأنَّ أخوة الإسلام هي روح الإيمان القوي، التي يكنّها المسلم لإخوانه في العقيدة، حتى إنه ليحيا بهم ويعيش معهم وفيهم، فكأنهم جميعًا أغصانٌ تفرعت من دوحة (الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة) واحدة؛ لأن من المبادئ العظيمة التي أرسى دعائمها ديننا الحنيف

مبدأ الأخوة بين أهل الإيمان، قال الله تعالى: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (الحجرات:١٠)، إخوة في ماذا؟ إخوة في الدين والحرمة، لا إخوة في النسب فحسب، وأخوة الدين والحرمة تبقى، أما أخوة النسب فتنقطع ولا تبقى، قال الله تعالى: « الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » (الزخرف:٦٧).

وقد ذكر الله تعالى المؤمنين بأخوتهم لبعضهم البعض، فقال الله تعالى: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (الحجرات:١٠)، وقال الله تعالى: « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » (آل عمران:١٠٣).

وقال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ » (البقرة:١٧٨)، وقال الله تعالى: « فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » (التوبة:١١)، وقال الله تعالى: « وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » (الحجرات:١٢)، وقال الله تعالى: « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ » (الحشر:١٠).

وقال الله تعالى: « وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ » (الحجرات:١١)، والمراد في هذا المقام: إخوانكم؛ لأن المؤمنين فيما بينهم فيما يلزم بعضهم بعضاً من تحسين أمرهم وطلب صلاحهم ومحبتهم للخير- كالجسد الواحد، فمن لمز أخاه فقد لمز نفسه، ومن عاب إخوانه فقد عاب نفسه، وقال الله تعالى: « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ » (البقرة:١٨٨). أي: أموال إخوانكم.

وقال الله تعالى: « لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا » (النور:١٢).

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأخوتهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن، فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا». (البخاري: ٦٠٦٤، ومسلم: ٢٥٦٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (البخاري: ١١٣، ومسلم: ٤٥).



وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». (البخاري: ٦٠٦٥، ومسلم: ٢٥٥٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». (مسلم: ٢٦٩٩).

وقال صلى الله عليه وسلم في شأن الغيبة: «ذِكْرك أخاك بما يكره». (مسلم: ٢٥٨٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه». (البخاري: ٢١٣٩، ومسلم: ١٤١٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ولا يخطب على خطبة أخيه». (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها». (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا

أو مظلومًا». (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما». (متفق عليه).

كما ذكَّر صلى الله عليه وسلم المؤمنات بذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها». (البخاري: ٥١٥٢).

ولما أمر صلى الله عليه وسلم النساء العواتق والحيض، وذوات الخدور أن يخرجن لصلاة العيد ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين، فقالت أم عطية رضي الله عنها: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لتلبسها أختها من جلبابها». (متفق عليه).

أخوةٌ أساسها العقيدة والإيمانُ، وقاعدتها الدِّين الخالص للواحد الديان، تتوارى معها التميزات العرقية، وتموت العصبيات القومية، والفوارق الجنسية، لتبقى القاعدة الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي الذي تضمه آصرةٌ خاصة، وتظله راية واحدة لا ثاني لها، إنها راية الإيمان.

كم هو جميل أن يقارن الفرح بالعيد وبهجته بجمع الشمل، وأن يكون هذا العيد نقطة تحول من حياة الفُرقة والاختلاف، إلى الاجتماع على كلمة التوحيد والائتلاف، فاتحاد المسلمين هو أول خطوة يخطونها في طريق العز والمجد والسؤدد.

ولعل الناظر يدرك أنه لم يكن لأمة الإسلام أن تجتمع لها كلمةٌ، أو يتوحد لها صف، أو تُرفع لها رايةٌ، أو تقوم لها دولة، أو يرهب منها عدو- إلا بتآخيها فيما بينها.

ولمثل هذا جاء التوجيه في محكم التنزيل:



«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران:١٠٣)، «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة:٢)، تعاونًا يشمل أمور الحياة كلها، بقدر ما تشمله هاتان الكلمتان الجامعتان كلمةُ البرِّ وكلمة التقوى، فالبر جماع كل خير، والتقوى اتقاء كل شر، بتحقيق التعاون على البر والتقوى، يهون كل عسير، ويتحقق كل مطلوب، وتُحل المشكلات وينعم الجميع بالأمن والأمان، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». (السلسلة الصحيحة: ٥٤٩).

تعميم يفيد أنَّ كمال الإيمان يقتضي أن يحافظ المؤمن على أموال المؤمنين وأرواحهم، وأن يحافظ على أموال المعاهدين وأرواحهم ما داموا ملتزمين بعهدهم.

فيا إخواني!! أناشدكم بالله أن تجعلوا من عيدكم هذا نقطة تحول من داء التنافر والتناحر والتشاحن والتدابر، وأفيضوا جميعًا إلى ظلال المحبة والسلام تحققوا ما تصبون إليه من رشد وخير في دنياكم وأخراكم، وأن يسعى ويبادر كل متشاحنين إلى التسامح والصفاء والتزاور والنقاء، ويتسابق الجميع من الذي يبدأ بالسلام: «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». (البخاري: ٦٠٧٧، ومسلم: ٢٥٦٠)، ويظفر بالجائزة الكبرى: «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» (الشورى:٤٠)، اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام.

رجاء المؤمنين في فضل رب العالمين

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

كنا قد تواعدنا في شهر رمضان المبارك؛ إن أحيانا الله تعالى أن يكون لحديثنا الذي ابتدأناه آنذاك صلة فيما يتعلق بحديث النيات وثمراته، وقد وجدتني وبعد معاينة لأحوال المسلمين المباركة وعباداتهم في هذا الشهر الكريم أن أذكِّر نفسي بقضية هي من وجهة نظري لا تقل أهمية عن العبادة نفسها؛ لأنها تحقق في مبناها ومعناها معنى العبودية ، ففيها جزء كبير من عمل القلب واعتقاده، ثم هي في النهاية ثمرة من ثمرات أعمال الشهر المبارك؛ لذا جعلتها صلة لحديثنا فيه.

هذه المسألة هي أننا لا بد أن نعتقد أنه لن يدخل أحد منا الجنة بعمله، مهما اجتهد وعمل، وأن الأعمال إنما هي سبب إكرام الله للعبد، وأن الله تعالى لا يجب عليه شيء، إلا ما أوجبه على نفسه، بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء.

روى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال صلى الله عليه وسلم: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أنه لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إلى الله أدومها وَإِنْ قَلَّ».

عزو الحديث:

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٠٩٩) ط٣، دار ابن كثير، قال: حدثنا عبد الْعَزِيزِ بن عبد الله حدثنا سُلَيْمَانُ عن مُوسَى بن عُقْبَةَ عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن عن عائشة فذكره. ورواه برقم (٦١٠٢) من طريق آخر إلى أم المؤمنين عائشة.

ورواه من حديث أبي هريرة من طريق آخر (٦٠٩٨) باختلاف يسير في ألفاظه، وزيادة في بعض معانيه.

ورواه مسلم بمعناه مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه

بزيادة (قالوا: ولا أنت يا رَسُولَ اللّه، قال: ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمَّدَني اللّه منه بِرَحْمَةٍ) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى. (٢٨١٨) (ج٤/٢١٧١) ط. دار إحياء التراث.

ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب الرقاق (١١٨١٢).

ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بمعناه برقم (٤٢٠١) في كتاب الزهد، بَاب التَّوَقِّي عَلَى الْعَمَلِ ط. دار إحياء الكتب العربية.

الحكم على الحديث:

الحديث اتفق عليه الشيخان (من حديث أم المؤمنين عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما)، فهو في أعلى درجات الصحة.

رجال الإسناد (مختصرًا من تقريب التهذيب):

١- عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى بن عمرو ابن أويس بن سعد بن أبي سرح الأويسي، أبو القاسم المدني، ثقة من كبار العاشرة، خ د ت كن ق. (تقريب التهذيب: ص ٣٥٧).

٢- موسى بن عقبة بن أبي عياش بتحتانية ومعجمة الأسدي مولى آل الزبير، ثقة فقيه إمام في المغازي من الخامسة، لم يصح أن ابن معين لينه، مات سنة إحدى وأربعين وقيل بعد ذلك ع (تقريب التهذيب: ص ٥٥٢).

٣- أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله، وقيل إسماعيل، ثقة مكثر من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة وكان مولده سنة بضع وعشرين ع. (تقريب التهذيب: ص ٦٤٥).

٤- أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها.

شرح الحديث:

قال الحافظ في (فتح الباري) (٢٩٥/١١) في بيان معنى السداد: ومعناه: اقصدوا السداد أي الصواب، وقال: اعملوا واقصدوا بعملكم الصواب، أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره، ليقبل عملكم فتنزل عليكم الرحمة. وقال في معنى (وقاربوا): أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة، لئلا يُفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرِّطوا. انتهى.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم (١٦٢/١٧): ومعنى سددوا وقاربوا اطلبوا السداد، واعملوا به وإن عجزتم عنه فقاربوه أي: اقربوا منه، والسداد الصواب وهو بين الإفراط والتفريط فلا تغلوا ولا تقصروا) انتهى.

قلت: وعليه يكون السداد الذي أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم هو تحقيق شرطي العمل من إخلاص لله واتباع السنة، ثم يأتي بعد ذلك معنى المقاربة، وهو المقاربة من السنة في حالة العجز عن فعلها سدادًا كاملاً، ومدار ذلك على استطاعة العبد، فالله تبارك وتعالى لا يكلفنا إلا على قدر استطاعتنا قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٨٦).

- قوله (وَاعْلَمُوا أنه لَنْ يُدْخلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ): وردت هذه الجملة بألفاظ متعددة متقاربة، ومعناها: أن دخول الجنة والتمتع بنعيمها لا يحصل للعبد بمجرد العمل، بل بتفضل الله وإحسانه، فهو الذي وفق العبد للعمل الصالح وأعانه على فعله، وامتن عليه بقبوله، وتفضل بالمثوبة عليه، فله الفضل والمنة قبل العمل وعنده وبعده.(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ)، (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا).

قال النووي في شرح هذا الحديث ونحوه من الأحاديث في (صحيح مسلم) (١٥٩/١٧): وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى: (ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وقوله تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يُدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ويصح أنه دخل بالأعمال

أي بسببها وهي من الرحمة، والله أعلم.
(وقال الحافظ في الفتح (١١/٢٩٥)):
ويجوز أن يكون الحديث مفسرا للآية، والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم، وتفضله عليكم؛ لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته؛ حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله، وقد تفضل عليهم ابتداء بإيجادهم، ثم برزقهم ثم بتعليمهم، وقال عياض: طريق الجمع أن الحديث فسر ما أجمل في الآية، فذكر نحوا من كلام ابن حجر الأخير، وأن من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وإنما هو بفضل الله وبرحمته.

قلت: ويؤخذ من هذا أن الباء باءان:
١- باء للسببية
٢- باء للمجازاة والمقابلة.

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن القيم الفرق بين البائين فقال في (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة) (١/٨): «وأحسن من هذا أن يقال الباء المقتضية للدخول غير الباء التي نفى معها الدخول؛ فالمقتضية هي باء السببية الدالة على أن الأعمال سبب للدخول مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها، والباء التي نفى بها الدخول هي باء المعاوضة والمقابلة التي في نحو قولهم اشتريت هذا بهذا، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا تغمد الله سبحانه لعبده برحمته لما أدخله الجنة فليس عمل العبد وإن تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة، ولا أن يكون عوضا لها لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها وهو لم يوفها حق شكرها، فلو عذّبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيرًا من عمله كما في حديث أبي بن كعب الذي أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) في ذكر القدر (ففيه لو أن الله عذّب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم) الحديث، قال: وهذا فصل الخطاب مع الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سببًا في دخول الجنة من كل وجه، والقدرية الذين زعموا أن الجنة عوض العمل وأنها ثمنه، وأن دخولها بمحض الأعمال والحديث يبطل دعوى الطائفتين، والله أعلم). انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر - بعد عرضه للخلاف بين أهل العلم في التوفيق بين الآية والحديث - قولاً موفقًا خرج به من الخلاف ووفق به بين الأقوال فقال ما مفاده:
إن الجمع بين الآية والحديث بأن يُحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولاً، وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى، وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه، وعلى هذا فمعنى قوله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) أي تعملونه من العمل المقبول، ولا يضر بعد هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو المقابلة ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية.

قوله (واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل): دال على أن العمل الذي يداوم عليه فاعله ولو كان قليلاً، هو أحب العمل إلى الله، وذلك أن العبد إذا داوم على الأعمال الصالحة، فهو حري أن يختم الله له بخير، فإنه إذا وافاه الأجل يوافيه على حالة حسنة، بخلاف الذي لا يداوم على العمل الصالح وينقطع عنه، فقد يوافيه أجله في حالة الترك.

وقال الحافظ في (الفتح) (١١/٢٩٩): والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت ليجازى بالبر لكثرة تردده فليس هو كمن لازم الخدمة مثلاً ثم انقطع وأيضًا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء ومن ثَمَّ ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام

وغيرهما من العبادات، وقوله (ما تطيقون) أي قدر طاقتكم، والحاصل أنه أمر بالجد في العبادة والإبلاغ بها إلى حد النهاية، لكن بقيد ما لا تقع معه المشقة المفضية إلى السآمة والملال». انتهى.

ومما يستفاد من الحديث بخلاف ما سبق:

١- الإخلاص هو ملاك الأعمال وبركتها:

فقد رأيتم أن معنى (سددوا) كما قاله ابن حجر يعنى الصواب الخالص، ثم يأتي بعد ذلك فيقول: وقاربوا، أي بعد فعلكم العمل موافقاً للسنة ومحققاً للإخلاص فافعلوا من الأعمال ما تطيقون طالما حققتم هذين الشرطين، وبذلك تشعر أن بركة العمل الحقيقية في كونه مخلصًا موافقًا للسنة فهي أول درجات المفاضلة، ثم تأتي بعد ذلك المفاضلة بكثرة العمل.

٢- سقوط الإنكار بين المكثر والمقل:

فطالما وافق العمل السنة فلا ينكر المكثر على المقل ولا المقل على المكثر، ولا يتعالى أحد على أحد، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون»، وكذا لا ينكر المقل على المكثر ويرميه بالتشدد، فكله خير طالما لا يخرج كله عن السنة وكل ميسر لما خلق له.

٣- دخول الجنة بفضل الله والعمل سببٌ فيه:

فالعامل لا يعول على عمله في دخول الجنة والنجاة من النار، وإنما هو بفضل الله تعالى ورحمته، وهذه مسألة قد أكثر فيها العلماء لأهميتها كما سبق أن أشرنا في شرح الحديث.

٤- وفيه الحث على المداومة على العمل، وأن العمل الدائم ولو قل هو أحب العمل إلى الله، وإذا جمع في العمل بين الدوام والكثرة بدون إفراط كان أفضل.

٥- أن الأعمال الصالحة محبوبة لله، وفيه إثبات صفة المحبة لله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

فائدة علمية على شرح النووي لمسلم:

ذكر أهل العلم أن التبويبات الموجودة في المطبوع من الصحيح ليست من تبويب مسلم، والظاهر أنها من تبويبات الإمام النووي الشافعي، وذلك لما يأتي:

١- هناك عدد من هذه التبويبات على طريقة فقهاء الشافعية.

٢- وهناك عدد من المواضع في شرح النووي على مسلم تدل على أن النووي هو الذي وضع هذه التبويبات.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم «١٣٥/٤» (وقد قدمنا في آخر الباب السابق دليل ما ذكرته في الترجمة).

وقال (٩٠/٧) (وفيه بيان ما ذكرناه في الترجمة) فظاهر كلامه أن هذه التراجم من صنعه.

٣- وجود تراجم أخرى عند غيره كما في مستخرج أبي نعيم.

٤- أن النسخ القديمة لصحيح مسلم غير مبوبة أصلاً، وأن بعضهم قد وضع هذه التبويبات في الهامش.

ومن هذا ما نجده عند بعض العلماء من قولهم: بوَّب عليه الإمام النووي بكذا (كالزيلعي وما نقله عنه ابن التركماني) فلعله أخطأ أو نسب الفعل إلى منشئه.

ثم إننا إذا تقرر لدينا ما سبق؛ فقد استفدنا مسألة تربوية أخرى أن الإمام النووي قد وصل من البراعة والإتقان أنه عبَر عن أبواب مسلم بطريقة دقيقة جعلت الناس يختلفون فيمن وضع الترجمة: النووي أم مسلم؟، وكذلك أن السلف على قدر اهتمامهم بنسبة الكلام إلى قائله والعلم إلى أهله إلا أنهم قد يخفون من أعمالهم لدرجة أنه يختلف في تقرير من الفاعل فقارن - يا رعاك الله - بين فعلهم وبين فعلنا نحن، وتضخيمنا لقليل عملنا في هذه الأيام المتأخرة، والله المستعان.

هذا وبالرجوع إلى شرح الحديث في مظانه من الكتب التي ذكرنا وغيرها فستجد كنزًا من الفوائد، وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه وسلم.

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٣٥)

٣٣٩- " تَذْهَبُ الأَرَضُونَ كُلُّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِلا المَسَاجِدَ، فَإِنَّهَا تَنْضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/٤٠٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وعلته أصرم بن حوشب، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/٢٧٢/١٠١٧): قال يحيى: كذاب خبيث، وقال البخاري ومسلم والنسائي: متروك، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات. اهـ.

٣٤٠- " مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَدَقَةٌ فَلْيَلْعَنِ اليَهُودَ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/٣٠٣) من حديث عائشة مرفوعًا، وعلته محمد بن أحمد بن سهيل بن علي بن مهران أبو الحسن الباهلي المؤدب، قال ابن عدي: هو ممن يضع الحديث متنًا وسندًا، وهو يسرق حديث الضعفاء يلزقها على قوم ثقات.

٣٤١- " إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَاسْتَعِينُوا بِالحِجَامَةِ لا يَتَبَيَّغُ الدَّمُ بِأَحَدِكُمْ فَيَقْتُلُهُ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٢٣٥) من حديث أنس مرفوعًا وفيه محمد بن القاسم الأسدي الكوفي، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/١١/٨٠٦٦): «كذبه أحمد بن حنبل والدارقطني».

٣٤٢- " إِنَّ فِي الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يَحْتَجِمُ فِيهَا أَحَدٌ إِلا مَاتَ ".

الحديث لا يصح: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٢/١٥٠/٦٧٧٩) من حديث الحسين بن علي مرفوعًا، وعلته يحيى بن العلاء البجلي الرازي أبو عمرو روى عنه جبارة بن مُغلس، ذكره الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٥٧٩) فقط، فيظن من لا علم له بمنهج الدارقطني أنه سكت عنه، ولكن هيهات فقد بين المنهج في «المقدمة» حيث قال الإمام البرقاني: طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الوريقات. اهـ.

ولذلك قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/٣٩٧/٥٩١٩) قال الدارقطني: «متروك»، وقال أحمد ابن حنبل: «كذاب يضع الحديث». اهـ. وعلة أخرى الراوي عنه جُبارة بن المغلس، قال يحيى بن معين: كذاب، وقال ابن نمير: «يوضع له الحديث فيرويه ولا يدري». كذا في «الميزان» (١/٣٨٧)، وبهذا يزداد الحديث وهنًا على وهن.

٣٤٣- " إِذَا أَطَاقَ الغُلامُ صَوْمَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَجَبَ عَلَيْهِ صَوْمُ رَمَضَانَ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/١١٦) من حديث جبارة بن المغلس عن

يحيى بن العلاء عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن أبيه عن جده مرفوعًا، وأبو لبيبة الأشهلي ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (١٠٤٦٨/٣٥٠/٧)، وجبارة بن المغلس ويحيى بن العلاء كذابان، كما بينا، ولذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان: «يحيى بن العلاء كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات التي إذا سمعها من الحديث صناعته سبق إلى قلبه أنه المعتمد لذلك لا يجوز الاحتجاج به».

٣٤٤- "أوحي إليَّ في عَليٍّ ثلاثًا: إنَّه سيِّد المسلمين، وإمَامُ المتقينَ، وقائدُ الغُرِّ المُحَجَّلين".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٩٨/٧) (٢١٠٤/٥١) من حديث أسعد بن زرارة مرفوعًا، وعلته يحيى بن العلاء الرازي الكذاب، كما بينا آنفًا.

٣٤٥- "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسَوِّفَةَ وَالْمُفَسِّلَةَ، فَأَمَّا الْمُسَوِّفَةُ: فَالَّتِي إِذَا أَرَادَهَا زَوْجُهَا، قَالَتْ: إِنِّي سَوْفَ وَالآنَ، أَمَّا الْمُفَسِّلَةُ: فَالَّتِي إِذَا أَرَادَهَا زَوْجُهَا، قَالَتْ: إِنِّي حَائِضٌ وَلَيْسَتْ بِحَائِضٍ".

الحديث لا يصح: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٦٧/٣٥٤/١١) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وعلته يحيى بن العلاء الرازي كذاب يضع الحديث كما بينا آنفًا.

٣٤٦- " لَعَنَ اللَّهُ الْمُسَوِّفَاتِ ". قِيلَ: وَمَا الْمُسَوِّفَاتُ؟ قَالَ: " الرَّجُلُ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَتَقُولُ: سَوْفَ، سَوْفَ، حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ".

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٩٩/٥) (ح٤٣٩٠) وقال: «لا يُروى هذا الحديث عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد».

قلت: لقد أوردنا حديث ابن عمر حتى لا يتوهم البعض أنه شاهد لحديث أبي هريرة، فهذا الوهم من أمحل المحال، حيث إن حديث ابن عمر هذا علته جعفر بن أبي جعفر، قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠٠٤/٤٩٠/٢): «جعفر بن أبي جعفر أبو الوفاء الكوفي الأشجعي واسم أبي جعفر ميسرة روى عن أبيه، سمعت أبي يقول: سألت أبي عنه فقال: هو ضعيف منكر الحديث جدًّا. اهـ. وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٤٧): «ضعيف منكر الحديث». اهـ. قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، قال السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». وبهذا لا يصلح حديث ابن عمر شاهدًا لحديث أبي هريرة خاصة أن له جملة واحدة (المسوفات) فقط ولا توجد به جملة (المفسدات)، وكذلك حديث أبي هريرة لا يصلح شاهدًا ولا مشهودًا ولا تابعًا ولا متبوعًا، حيث إن علته كما بينا كذاب وضاع فتقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها.

٣٤٧- " مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ بِكَلامِ الدُّنْيَا أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً".

الحديث لا يصح: أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد» (ص٢٥) وقال: «قال الصغاني: موضوع». قلت: والحديث ذكره الصغاني في «الموضوعات» (ح٤٠)، وقال: «موضوع».

من روائع الماضي



صيام الست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري(١)- رضي الله عنه-: أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَن صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهْر»؛ رواه مسلم(ح(٢٠٤)، (١١٦٤)).

هذا الحديثُ يَدُلُّ على فضلٍ عظيم، وعطاء كريم منَ الله - سبحانه - وعلى المسلم أن يَتعرَّض لهذا العطاء الوافر من الله - سبحانه - ولا يَحْرم نفسه من ذلك.

والصوم خمسة أقسام:

١- صَوْم واجب بإيجاب الله تعالى، وهو مُعَيَّن، وهو: شهْر رمضان.

٢- صَوْم واجب بإيجاب الله تعالى مضمون في الذِّمَّة؛ كصيام الكفَّارات، (كفارة اليمين لِمَن عجز عن الإطعام، وكفارة الجماع في نهار رمضان، وكفارة القتْل الخطأ)، وكصيام القضاء لما أفطره في رمضان.

٣- صوم واجب بإيجاب الإنسان على نفسه مُعَيَّن؛ كنَذْر صوم يوم، أو أيام بعَيْنها.

٤- صوم واجب بإيجاب الإنسان على نفسه، مضمون في الذِّمَّة غير معين؛ كنذر صوم يوم، أو أيام بغير تعْيين.

٥- صوم التطوُّع، وصوم التطوُّع منه ما هو مُحَدَّد في الأيام من العام؛ كصوم عرَفة وعاشوراء، ومنه ما يأتي من جُملة الصالحات؛ كالتِّسع الأولى من ذي الحجة؛ لحديث: «ما من أيام العمَل الصالح فيها خير من هذه الأيام العشر...»، ومنها: ما هو مطلق في الشهور المعينة؛ كصيام شعبان والمحرم، والصوم في الأشهر الحُرُم، وصوم السِّتِّ من شوال،

إعداد/ الشيخ محمد صفوت نور الدين
رحمة الله عليه

ومنها: ما هو مُطلَق في الشهور غير معينة؛ كصيام ثلاثة أيام في كلِّ شهر، وقد يخص منها الأيام البيض (القمرية)، ومنها: صيام الاثنين والخميس.

وأفضل الصيام عند الله: صيام داود، كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، ويَحْرُم الصوم في العيدين، ويحرم صوم الشك، وهو ليس يوم الثلاثين من شعبان، إنما هو اليوم الذي يُشك فيه هل هو آخر يوم من شعبان (ثلاثين منه)، أو هو يوم من أيام رمضان؛ لأن الهلال غُم على الناس، فلم يتبين لهم طلوعه من عدمه.

ويُكْرَه الصوم في أيام التشريق، وهي: الأيام الثلاثة بعد عيد الأضحى؛ لأنها أيام أكْل وشُرب وذِكْر لله تعالى، ويُكره إفراد الجمعة أو السبت بالصوم تطوُّعًا، إلا أن تصومَ يومًا قبله، أو يومًا بعده.

صَوْم الست من شوال:

فرَض الله تعالى على الذين آمنوا صَوْم شهْر رمضان، وقد شرَع لنا النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - الصوم قبله في شعبان؛ لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت:

لَم يكُن النبي - صلى الله عليه وسلم - يَصُوم في شهر أكثر من شعبان؛ فإنه كان يصوم شعبان كله إلا قليلاً (متفق عليه)

وقد شرع الصَّوْم بعده في شوال؛ لحديث أبي أيوب: «مَن صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر»، فكانت كالراتبة من نوافل الصلاة قبلها وبعدها.

ومعلوم أنَّ أعظم النوافل أجرًا النوافل الراتبة، وهي: ركعتان قبل الصُّبْح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء.

شَوْق إلى الصوم:

ولَمَّا كان الحديثُ القُدسي: «كلُّ عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به»، فإذا استشعر المسلم معنى: «فإنه لي»، وخالط هذا المعنى شغاف قلبه أَحَبَّ الصوم، وتَمَنَّى ألا ينتهيَ من رمضان أبدًا، ولكن كيف ينال ذلك ورمضان يبدأ بالهلال وينتهي بالهلال؟! هذا الشَّوْق يُؤَهِّل العبدَ لمكافأة من الله وعطاء كبير؛ حيث يجعل له صوم ستة أيام من شوال تكمل له حلقة العام مع رمضان، فيصبح كمَن صام العام كله، ومَن كان هذا شأنه دائمًا، فكأنما صام العُمر كله، وذلك عطاء من الله - سبحانه - لِمَن إذا خرج من العبادة أَحَبَّ العَوْدة إليها، وعليه يُمْكن حَمْل الأُجور العظيمة على الأعمال اليسيرة بعد العبادة؛ كحديث: «ألا أعلمكم شيئًا تدركون به مَن سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون، وتحمدون، وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين».

فمَن صام رمضان؛ أي: أَتَمَّ أيامه صيامًا حتى طلع عليه هلال شوال، ثم أتبعه ستًا من شوال؛ أي: بعد عيد الفطر؛ لأنه معلوم أن العيد لا يجوز صومه لا في قضاء، ولا كفَّارة، ولا تطوُّع.

فيبدأ الصوم من اليوم الثاني أو ما بعده، إلى أن يتم صوم الأيام الستة متتابعة أو متفَرِّقة في أول الشهر، أو في وسطه، أو في آخره، بهذا كله يكون قد تحقق له أنه «أتبعه ستًا من شوال».

حُكم صَوْم الستة من شوال:

قال القُرطبي: "واختلف في صيام هذه الأيام، فكَرِهها مالك في "موطَّئه"؛ خوفًا أن يلحقَ أهل الجهالة برمضان ما ليس منه"، وقد وقع ما خافه، حتى إنه كان في بعض بلاد خراسان يقومون لسحورها على عادتهم في رمضان، وروى مطرف عن مالك: أنه كان يصومها في خاصة نفسه، واستحب صيامها الشافعي، وكرهه أبو يوسف. انتهى.

ولقد استحبَّ صيامَها جُمهورُ العلماء إلا المالكية، فكرهوا صيامها إذا اجتمعت شروط أربعة، فإنْ تخلَّف منها شرط أو أكثر، لَم يكره صيامها عند المالكية، وهذه الشروط هي:

١- أن يكون الصائم ممن يُقتدى به، أو يخاف عليه أن يعتقد وجوبها.

٢- أن يصومها متَّصلة بيوم الفطْر.

٣- أن يصومها مُتتابعة.

٤- أن يظهر صومها.

صيام الدهر(٢):

قوله - صلى الله عليه وسلم -: «كان كصيام الدَّهْر»؛ أي: كُتبَ له أجْرُ مَن صام كل يوم فلمْ يفطر، ولقد أخرج الدارمي في سننه، عن ثوبان: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «صيام شهر بعشرة أشهر، وستة أيام

بعدهن بشهرين، فذلك تمام سنة»؛ يعني: شهر رمضان، وستة أيام بعده؛ وذلك أنَّ الحسَنة بعشر أمثالها، وإنما يرجى ذلك لِمَن أنس العبادة وأحبها، وذلك فوق التضعيف الخاص بالصوم في قوله: «فإنه لي»، فهو تضعيف، وزيادة فوق ذلك التضعيف وتلك الزيادة - والله أعلم - قوله - صلى الله عليه وسلم -: «كصيام الدهر»، مع أن الأحاديث قد جاءتْ بالنهي عن صيام الدهر.

لكن التشبيه هنا: أنَّ مَن أراد أن يحصلَ على ثواب صوم الدهر، فعليه بصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان، فيضاعف له الثواب حتى يحوز من الأجر كأنه لَم يفطر أبدا، بل إنَّ حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: «صُم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر».

فكان مَن صام رمضان، وأتبعه ستًّا من شوال، وصام ثلاثة أيام من كل شهر بعد، كان كمَن صام دهرين في عمره، وذلك مما اختص الله - سبحانه - به هذه الأمة على قصر أعمارها، فإن الله - سبحانه - ضاعَفَ لها أعمالها، فتسبق الأمم بذلك العطاء العظيم من الله - سبحانه.

قضاء رمضان وصوم شوال:

ومعلوم أنَّ القضاء فريضة، فهي على الوُجُوب، أمَّا صَوْم شوال فنافلة؛ ما لَم ينذره العبدُ، فيصبح عليه فريضة بنَذْره، والقضاء مُقَدَّم على صوم النافلة، فإن استطاع العبدُ القضاء في شوال، ثم صام السِّتَّة بعدها فَعَل ذلك، وإنْ خَاف لو صام الستة من شوال ألا يستطيعَ القضاء على مُرُور العام حتى رمضان الذي يليه، تَعَيَّن عليه القضاء في شوال دون الستة.

فإنْ كان لا يتَّسِع شوال عنده للستة مع القضاء، وهو يرجو أن يفرِّقَ القضاء بعد ذلك على أيام العام، جاز له صوم الستة في شوال، وتأخير القضاء إلى ما بعد ذلك؛ لأن وقت الستة من شوال محصور فيه، أما القضاء فوقته مُوسع على العام كله؛ لقوله تعالى: «فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة: ١٨٥)؛ وذلك مُراعاة لوظيفة الوقت المضيقة دون ما كان وقته موسعًا؛ والله أعلم بالصواب.

الهوامش

(١) أبو أيوب الأنصاري واسمه: خالد بن زيد بن كليب، من بني النجار، شهد العقبة وبدرًا وأحُدًا والمشاهد كلها، وكان مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومن خاصته، وشهد الجمل والنهروان، ثم غزا أيام معاوية - رضي الله عنه - أرض الروم مع يزيد سنة إحدى وخمسين، ومات عند مدينة القسطنطينية، وقد آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أبي أيوب ومصعب بن عمير.

وأبو أيوب: هو الذي نزل النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته لَمَّا قدم المدينة إلى أن بنَى المسجد، ثم بنى بيته إلى جوار المسجد، فتحول النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بيت أبي أيوب إلى بيته، وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر نزل في بني عمرو بن عوف خمسة أيام، ثم انتقل إلى المدينة، وقد ركب ناقته، وأرخى زمامها، والناس على جنبتي الطريق يقولون: تعال يا رسول الله إلى العدد والعدة، والعزة والمنعة، ويأخذون بخطام الراحلة، فيقول - صلى الله عليه وسلم -: «دعوها فإنها مأمورة»،

حتى ناخت في بني مالك بن النجار، فلما نزل عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - انشغل الناس به يأخذونه إلى بيوتهم، أما أبو أيوب فحمل رحل النبي - صلى الله عليه وسلم - فأدخله إلى بيته، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «المرء مع رحله».

ويذكر أبو أيوب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل في بيته الأسفل، فكُسر إناء الماء، فسكب الماء في الغرفة، فقام هو وزوجه ليجَفِّفا الماء بالثوب الذي يلتحفون به، مخافة أن ينزل شيء منه على النبي - صلى الله عليه وسلم - قال أبو أيوب: فقلت: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إنه لا ينبغي أن نكون فوقك، فانتقل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الغرفة، فانظر إلى أبي أيوب يبقى مجاهدًا حتى آخر عمره، فيموت غازيًا في سنة إحدى وخمسين، وقد طعن في السن. ويقول: قال الله تعالى: «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً» (التوبة: ٤١)، فلا أجِدني إلا خفيفًا أو ثقيلاً، ومناقبه كثيرة - رضي الله عنه.

(٢) في الصحيح: أن سائلاً سأله عن صوم الدهر، فقال: «مَن صام الدهر فلا صام ولا أفطر»، قال: فمَن يصوم يومين ويفطر يومًا، فقال: «ومن يطيق ذلك؟»، قال: فمَن يصوم يومًا، ويفطر يومين، فقال: «وددتُ أني طوقت ذلك»، فقال: فمَن يصوم يومًا ويفطر يومًا، فقال: «ذلك أفضل الصوم»، فسألوه عن صوم الدهر، ثم عن صوم ثلثيه، ثم عن صوم ثلثه، ثم صوم شطره.

وأما قوله: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر يعدل صيام الدهر»، وقوله: «مَن صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال، فكأنما صام الدهر، الحسنة بعشر أمثالها»، ونحو ذلك - فمراده: أنَّ مَن فعَل هذا يحصُل له أجر صيام الدهر بتضعيف الأجر، من غير حصولِ مفسدة، فإذا صام ثلاثة أيام من كلِ شهر، حصل له أجْر صوم الدهر بدونِ شهر رمضان.

وإذا صام رمضان وستًّا من شوال، حصل بالمجموع أجْر صوم الدهر، وكان القياس أن يكونَ استغراقُ الزمان بالصوم عبادة، لولا ما في ذلك من المعارض الراجح، وقد بَيَّن النبي - صلى الله عليه وسلم - الراجح، وهو إضاعة ما هو أوْلَى من الصوم، وحُصُول المفسدة راجحة، فيكون قد فَوَّتَ مصلحة راجحة واجبة أو مستحبة، مع حصول مفْسدة راجحة على مصلحة الصوم.

وقد بَيَّن - صلى الله عليه وسلم - حكمة النهي، فقال: «مَن صام الدهر فلا صام ولا أفطر»، فإنه يصير الصيام له عادة، كصيام الليل فلا ينتفع بهذا الصَّوْم، ولا يكون صام، ولا هو أيضًا أفطر.

وَمَن نَقَل عن الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم سرد الصوم، فقد ذهب إلى أحد هذه الأقوال، وكذلك مَن نقل عنه أنه كان يقوم جميع الليل دائمًا، أو أنه يصلي الصبح بوُضُوء العشاء الآخرة، كذا كذا سنة، مع أن كثيرًا من المنقول من ذلك ضعيف.

وقال عبدالله بن مسعود لأصحابه: أنتم أكثر صومًا وصلاة من أصحاب محمد، وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: لمَ يا أبا عبدالرحمن؟ قال: لأنهم كانوا أزْهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة، فأما سرد الصوم بعض العام، فهذا قد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - فعله.

قد كان يصوم حتى يقول القائل: لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل: لا يصوم (من مجموع الفتاوى ج٢٢، ص٣٠٢ - ٣٠٤).

والحمد لله رب العالمين.

زكاة الفطر.. أحكام وآداب



إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد،

إعداد/ محمد عبد العزيز

فإن الله تعالى شرع للمسلمين زكاة الفطر من رمضان طهرةً للصائم من اللغو والرفث، ورفقًا بالفقراء وطعمة لهم، وإغناءً لهم عن السؤال في يوم العيد، وذلك من محاسن الإسلام، فإليك أخي القارئ جُل أحكامها وآدابها.

حكم زكاة الفطر:

زكاة الفطر واجبة، وقد فُرضت في العام الثاني لهجرة النبي - صلى الله عليه وسلم -. عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: «فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تُؤَدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة» رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٢٣٢٥).

قال ابن المنذر في الإشراف (٣/ ٦١/ م ١٠٢٥، م ١٠٢٦): «وأجمع عوام أهل العلم على أن صدقة الفطر فرض. وممن حفظنا ذلك عنه من أهل العلم: محمد بن سيرين، وأبو العالية، والضحاك، وعطاء، ومالك، وأهل المدينة، وسفيان الثوري، والشافعي، وأبو ثور، وإسحاق، وأصحاب الرأي. وقال إسحاق: هو كالإجماع من أهل العلم.

- وأجمعوا على أن صدقة الفطر تجب على المرء إذا أمكنه أداؤها عن نفسه وأولاده، والأطفال الذين لا أموال لهم».

قال محمد بن عبد الله بن أبي بكر الحثيثي الصرد في الريمي، جمال الدين (المتوفى: ٧٩٢هـ) في المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة (١/ ٢٩٨):

«عند الشافعي زكاة الفطر واجبة مفروضة. وعند الأصم وابن علية وقوم من أهل البصرة ليست بواجبة، وهو قول ابن اللبان من الشافعية.

وعند أبي حنيفة وأهل العراق هي واجبة وليست بفرض، لأن الفرض عنده ثابت بالأخبار المتواترة، والواجب ما ثبت بخبر الواحد».

قلت: وكلام الصرد في هو التحقيق.

وقال ابن هبيرة في اختلاف الأئمة العلماء (١/٢١٠، ٢١١): «اتفقوا على وجوب زكاة الفطر على الأحرار المسلمين.

ثم اختلفوا في صدقة من يجب عليه منهم؟

فقال مالك والشافعي وأحمد: هو من يكون عنده فضل عن قوت يوم العيد وليلته لنفسه وعياله الذين تلزمه مؤنتهم بمقدار زكاة الفطر، فإن كان ذلك عنده لزمته.

وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على من ملك نصابًا - أو ما قيمته نصاب فاضلاً - عن مسكنه وأثاثه وثيابه وفرسه وسلاحه وعبده.

واتفقوا على من كان مخاطبًا بزكاة الفطر على اختلافهم في صفته أنه تجب عليه زكاة الفطر عن نفسه وعن غيره من أولاده الصغار ومماليكه المسلمين الذين ليسوا للتجارة».

زمن وجوب الزكاة:

قلت: قال ابن عمر: «فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زكاة الفطر من رمضان» فهذا من إضافة الفرضية إلى سببها وهو الفطر من رمضان.

وهل هذه الإضافة لفعل الفطر من رمضان، أم لزمن الفطر؟

قلت: بل هي لزمن الفطر من رمضان، إذا لو كان للفعل لما وجبت إلا على الصائم فقط، ودليل ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جعلها على الكبير والصغير، والصغير ليس أهلاً للتكليف.

زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين.

ما زمن وجوب زكاة الفطر من رمضان الذي أضيفت له الزكاة؟

الجمهور على أنه بغروب شمس آخر يوم من رمضان وهو قول الشافعي في الجديد، وقول أحمد وإحدى الروايتين عن مالك.

وذهب أبو حنيفة، والشافعي في القديم، والرواية الثانية عن مالك، وهو قول الظاهرية إلى أنها تجب بطلوع فجر أول يوم من شوال.

ومبنى خلافهم على أمرين:

الأول: هل زمن الفطر انقضاء الشهر؟ وهو ينقضي بغروب شمس آخر يوم منه.

أم أن الزكاة أضيفت إلى فعل الفطر؟ والفطر لا يكون في النهار، لأنه زمن الصوم.

الآخر: هل الليلة مضافة إلى اليوم الذي يليها، أم هي مضافة إلى اليوم الذي انتهى؟

فمن قال بالأول، قال: هذه أول ليلة من شوال، وهو الذي عليه العمل، ولذا يقوم الناس ليلة أول يوم من رمضان بانقضاء آخر يوم من شعبان، ويقوم الليالي الوترية التماسًا لليلة القدر بانقضاء أيام الشفع.

ومن قال بالآخر قال: هذه الليلة من رمضان.

وينبني على هذا مسائل منها:

- من ولد بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان.

على القول الأول، لا تجب عليه زكاة الفطر وعلى القول الثاني، تجب.

- من اعتمر بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان.

على القول الأول هي عمرة في شوال، إن بقي بعدها في الحرم حتى حج من نفس العام فهو متمتع بالعمرة إلى الحج.

وعلى القول الثاني، هي عمرة في رمضان تعدل حجة، وليس متمتعًا.

والقول الأول، أرجح.

و يجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين.

لحديث نافع وفيه «وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يعطيها الذين يقبلونها وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم، أو يومين» رواه البخاري (١٥١١)

فروق بين زكاة المال، وزكاة الفطر:

- زكاة الفطر عن الأنفس، ولذا تجب على الغني والفقير إذا ملك صاعًا يزيد عن حاجته ذلك اليوم وتجب «على العبد، والحر، والذكر، والأنثى، والصغير، والكبير من المسلمين» رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٢٣٢٥).

- زكاة المال تجب في الأموال، قال تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً» (التوبة:١٠٣)، ولذا لا تجب إلا في بعض الأموال، ولا تجب فيها إلا إذا بلغت نصابًا، وتحقق بها الغنى في بعض الأموال فبقي المال مدخرًا لمدة عام، وينقص نصابها الدين فلا تجب.

- زكاة الفطر مقصدها إغناء الفقير عن سؤال الناس قوته يوم العيد، وهي طهرة للصائم عن اللغو والرفث.

- زكاة المال مقصدها إغناء الفقير عن سؤال الناس سائر حاجته لمدة عام، وهي تطهير للأموال وتزكية للنفوس.

- زكاة الفطر حدها النبي - صلى الله عليه وسلم - من أقوات الناس، وجعلها صاعًا من ذلك القوت يستوي في ذلك أهل الغنى واليسار، وأهل الحاجة والفقر، حتى الفقير الذي يأخذ الزكاة، إن توفر له ما يفيض عن حاجته ذلك اليوم بصاع أخرجها وجوبًا.

زكاة الفطر على الأنفس لذا تجب على الغني والفقير والحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين.

قال الصردفي في المعاني البديعة (٣٠٥/١): «عند الشافعي يجوز أن يخرج الفقير فطرته إلى الفقير، ثم يخرجها ذلك الفقير عن فطرته إلى الفقير الذي أعطاه أولا. وعند مالك لا يجوز».

- زكاة المال لا تجب إلا على غني بلغ ماله نصابًا كما مرَّ.

- وقت زكاة الفطر الذي تخرج فيه ساعات قليلة، إما من غروب شمس آخر يوم من رمضان إلى انقضاء الصلاة، وإما من طلوع الفجر يوم العيد إلى انقضاء الصلاة.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة.» رواه البخاري (١٥٠٩).

وعن ابن عباس قال: «فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.» رواه أبو داود (١٦١١)، وابن ماجه (١٨٢٧).

- زكاة المال ليس لها وقت محدد بل هي لكل مال بوقت، فهي إما بالحصاد، أو بمرور حول على مال بلغ نصابًا...

هل تجزئ زكاة الفطر من غير الأقوات؟

الجمهور على أنها لا تجزئ قيمة، وهو

الذي كان عليه سلف الأمة وهو الذي تؤيده النصوص.

وذهب الحنفية إلى جواز إخراجها قيمة، وهو قول مرجوح.

فمن أخذ بالأول فقد خرج من العهدة بيقين إجماعًا، وكانت مجزئة عنه، ومن أخذ بالثاني فهو قول لبعض أهل العلم وهو مرجوح عند الجماهير من السلف والخلف، ولم يخرج من العهدة بيقين.

قال ابن هبيرة في اختلاف الأئمة العلماء (٢١٤/١): «واتفقوا على أنه لا يجوز إخراج القيمة في زكاة الفطر، إلا أبا حنيفة فإنه قال: يجوز».

وقال النووي في شرح مسلم (٥٩/٧): «ولم يجز عامة الفقهاء إخراج القيمة».

وقال ابن قدامة في المغني (٦٦/٣): «وشرط المجزئ من زكاة الفطر أن يكون حبًا فلا تجزئ القيمة بلا خلاف».

وغاية ما استدل به المجوِّزون لإعطاء القيمة أنهم قالوا، هي أنفع للفقراء، فهم يحتاجون غير الطعام والشراب من ملبس ومركب ودواء وغيرها.

فيقال لهم: زكاة الفطر تعبدية، وإن كانت معقولة المعنى فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وطعمة للمساكين» رواه أبو داود (١٦١١)، وابن ماجه (١٨٢٧).

فقد نص على أنها طعمة، فلم تشرع لإغناء الفقراء عن سائر حاجاتهم، وقد مرَّ الفرق بينها وبين زكاة المال.

ثم يقال على فرض إعمال هذا القياس تنزلاً، فقد اتفق أهل العلم على أن الفرع إذا عاد على الأصل بالإبطال فهو باطل فالأصل إخراجها طعمة لحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «كنا نخرج زكاة الفطر صاعًا من طعام، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من زبيب.» رواه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

من فاته إخراج الزكاة في وقتها تعلقت بذمته إجماعا فيجب عليه إخراجها.

فلو أخرجها الناس نقدًا لعاد هذا القياس على هذا الأصل بالإبطال، ولهجر الناس الأعيان المنصوص عليها، وهذا باطل.

وهذا المقام لا يتسع لأكثر من هذه الإشارة في هذا الموضع.

ما مقدار الصاع النبوي؟

الصاع: أربعة أمداد، فالمد ربع صاع اتفاقًا.

والمد: ملء كفي الرجل المتوسط، لكن الخلق ما زال يتناقص.

والمد عند الجمهور رطل وثلث، فالصاع خمسة أرطال وثلث.

والمد عند الحنفية رطلان، فالصاع ثمانية أرطال.

وقول الجمهور أرجح.

وهو يساوي من الأرز المصري الجيد: ٢,٧٣٠كجم.

من فاته إخراج الزكاة في وقتها، فما حكمها؟

من فاته إخراج الزكاة في وقتها تعلقت بذمته إجماعًا، فيجب عليه إخراجها.

قال ابن هبيرة في اختلاف الأئمة العلماء (٢١١/١): «واتفقوا على أنها لا تسقط عمن وجبت عليه بتأخير أدائها وهي دين عليه حتى يؤديها».

هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.



تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة مفتراة على الصحابيين معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة المفتراة على الصحابيين معاوية وعمرو بن العاص، رضي الله عنهما، وهي من الكذب المفترى للرافضة الذين وضعوا أحاديث كثيرة جدًا راج كثير منها على الخطباء والوعاظ والقصاص، وانتشرت في كتب السنة الأصلية، ووفق الله أهل الصناعة الحديثية لكشف عوارها وبيان عارها.

أولاً: أسباب بيان حقيقة هذه القصة:

لقد قمنا في عدد شعبان ١٤٣٦هـ بالدفاع عن السنة المطهرة، والرد على افتراءات أحد المنكرين للسنة الذي قام بالاعتداء على أمير المؤمنين في الحديث: الإمام البخاري، رحمه الله، وعلى العالم الحبر عكرمة رحمه الله، ثم أساء إلى الصحابة رضيَ الله عنهم كما سنبين في هذه القصة.

ثانيًا: متن القصة المفتراة على الصحابيين معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما:

رُوِيَ عن أبي برزة قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت غناء فقال: انظروا ما هذا؟ فصعدت فنظرت، فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان فجئت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أركسهما في الفتنة ركسًا، اللهم دُعهما إلى النار دعًا». اهـ.

ثالثًا: التخريج:

١- أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٨/٢) قال: أنبأنا أبو منصور بن خيرون، أنبأنا الجوهري، عن الدارقطني، عن أبي حاتم البستي، حدثنا أبو يعلى، حدثنا علي بن المنذر، حدثنا ابن فضيل حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبي برزة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت غناء القصة.

٢- فائدة: قوله: «عن أبي حاتم البستي، حدثنا أبو يعلى»:

أ- أبو حاتم البستي: هو الإمام الحافظ ابن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ.

ب - أبو يعلى: ولابن حبان ثلاثة أشياخ متفقون في هذه الكنية، وهذا من المتفق والمفترق حيث يفرَّق بينهم بالنسبة والاسم:

- فقد أخذ ابن حبان بالأيْلة عن أبي يعلى محمد بن زهير الأيْلي.

- وبالبصرة: عن أبي يعلى زكرياء ابن يحيى الساجي.

- وفي الموصل: عن أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي. كذا في «روضة العقلاء» (٦١/٢١).

٣- فأي الثلاثة من شيوخه روى عنه الإمام ابن حبان في الرواية التي أخرجها الإمام ابن الجوزي.

بالرجوع إلى كتاب «المجروحين» (١٠١/٣) للإمام الحافظ ابن حبان قال: أخبرنا محمد بن زهير أبو يعلى قال: حدثنا علي بن المنذر، قال: حدثنا ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبي برزة قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت غناء .... الحديث». اهـ.

قلتُ: بهذا يتبين أن أبا يعلى الذي روى عنه ابن حبان هو محمد بن زهير الأيلي أخذ عنه بالأيلة.

٤- ويتوهم من قام بتخريج هذا الحديث أن الإمام ابن حبان أخرجه من طريق أبي يعلى الموصلي، فيقول- عفا الله عنا وعنه-: أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٤٢٢٥)- ومن طريقه ابن حبان في «الضعفاء» (١٠١/٣)، وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٨/٢). اهـ.

قلت: ولما كان كتاب «المطالب العالية للحافظ ابن حجر يحتوي على المسانيد التي خرَّج زوائدها على الكتب الستة ومسند أحمد وعددها عدة مسانيد، ومنها مسند أبي يعلى الموصلي، ولقد بينا آنفًا أن أبا يعلى الذي روى عنه ابن حبان هذا الحديث هو محمد بن زهير الأيلي، وأبو يعلى الأيلي رواه عن علي بن المنذر».

٥- فأبو يعلى الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، روى هذا الحديث عن عثمان بن أبي شيبة، وبتخريج هذا الطريق كما سنبين يتبين الاضطراب الذي وقع فيه يزيد بن أبي زياد الكوفي علة هذا الحديث، ويتحقق قول الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (١٤٠/١) حيث قال: «وممن يضطرب في حديثه يزيد بن أبي زياد الكوفي». اهـ فقد أخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٤٢٩/١٣) ح(٧٤٣٦) قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير ومحمد بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، قال: حدثني أبو هلال عن أبي برزة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفره فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يقول لصاحبه:

لا يَزَالُ حَوَارِيِّ تَلُوحُ عِظَامُهُ
زَوَى الحَرْبَ عَنْهُ أَنْ يُجَنَّ فَيُقْبَرَا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هذا؟ قال: فقيل له: فلان وفلان. قال: فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم أركسهما في الفتنة رَكْسًا، ودعهما في النار دعًّا». اهـ.

وعلة هذا الخبر الباطل هو الشيعي يزيد بن أبي زياد من أئمة الشيعة الكبار، يتبين مذهبه وإفراطه في التشيع من سبِّ الصحابيين معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، كما هو ظاهر من غريب ألفاظ هذا الخبر المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: انظر إلى مدى ما وصل إليه يزيد بن أبي زياد بقدومه الكوفة وتشيعه حتى صار من كبار أئمتهم وتلقنه عن أهل الكوفة الأخبار الواهية حتى أساء إلى الصحابة رضي الله عنهم هذه الإساءة البالغة، ولذلك قال الإمام ابن المبارك: «ارم به» مع لابن المبارك من توق شديد وتحرٍّ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه على الرجال في الجرح والتعديل، ولذلك تكلم فيه شعبة وأحمد، وقال فيه يحيى: لا يُحتج بحديثه، وكذّبه أبو أسامة. كذا في «المحلى» (٣١٣/٧) مسألة (٨٩٠).

٦- هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة المفتراة على الصحابيين معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٨/٢): «هذا حديث لا يصح ويزيد بن أبي زياد كان يلقن في آخر عمره فيتلقن، قال علي: ويحيى لا يحتج به، وقال ابن المبارك: ارم به، وقال ابن عدي: كل رواياته لا يُتابع عليها». اهـ.

٧- أورد هذا الخبر الذي جاءت به القصة الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٤٠٦) باب «المناقب» (ح١٥٨).

ثم قال الإمام الشوكاني: رواه أبو يعلى عن أبي برزة مرفوعًا، وقد ذكره ابن الجوزي في «موضوعاته» وقال: لا يصح يزيد بن أبي زياد

كان يتلقن. اهـ.

بيان معنى التلقين؟

٨- قال المحدث العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد المجموعة» (ص٤٠٨): «إن معنى قبول التلقين أنه قد يقال له: أحدثك فلان عن فلان بكيت وكيت؟

فيقول: نعم حدثني فلان عن فلان بكيت وكيت... وإنما تلقنه، وتوهم أنه من حديثه.

وبهذا يتمكن الوضاعون أن يضعوا ما شاؤوا، ويأتوا إلى هذا المسكين فيلقنونه فيتلقن ويروي ما وضعوه، وشيخ يزيد في هذا الخبر سليمان بن عمرو بن الأحوص، مجهول الحال كما قال ابن القطان، ولا يدفع ذلك ذكر ابن حبان له في الثقات، ولا أرى البلاء إلا من يزيد فإنه من أئمة الشيعة الكبار، والراوي عنه لهذا الخبر شيعي، وله عنه خبر آخر باطل، وإذا كان من أئمة الشيعة فلا يستبعد أن يستحوذ عليه بعض دجاجلتهم فيلقنه الموضوعات. اهـ.

قلت: هذا هو معنى التلقين، وهذا ما تلقنه يزيد بن أبي زياد الشيعي الذي استحوذ عليه دجاجلة الشيعة فلقنوه هذه الموضوعات.

ولقد بين المعلمي اليماني رحمه الله هذا؛ ليرد على تعقب الإمام السيوطي على قول الإمام ابن الجوزي في «موضوعاته»: «لا يصح: يزيد بن أبي زياد كان يتلقن».

حيث تعقبه السيوطي في «اللآلئ» (٣٢٧/١) قال: «هذا لا يقتضي الوضع». اهـ. فتعقبه المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد» (ص٤٠٨) قال: «لكنه مظنة رواية الموضوع، فإنه معنى قبول التلقين...» اهـ. كما أوردناه آنفًا.

طريق آخر عن يزيد بن أبي زياد:

٩- ثم قال المعلمي اليماني رحمه الله: «وجاء من وجه آخر عن يزيد هذا عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن ربيعة، وسنده مظلم، وفيه عمرو بن عبد الغفار الفقيمي رافضي متهم، ولم يسم الرجلين في هذه الرواية». اهـ.

١٠- قلت: تحقيق هذا الإجمال:

أ- قوله: وجاء من وجه آخر عن يزيد هذا من حديث المطلب بن ربيعة:

فقد أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩/٨) ح(٧٠٧٦) قال: حدثنا محمد بن حفص بن عمرو، قال: حدثنا إسحاق بن الحارث الرازي، قال: عمرو بن عبد الغفار الفقيمي، قال: حدثنا نصر بن أبي الأشعث، وشريك وأبو بكر بن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن المطلب بن ربيعة قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره يسير في بعض الليل، إذ سمع صوت غناء ... الحديث.

قال الإمام الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن نصر بن الأشعث إلا عمرو بن عبد الغفار الفقيمي رافضي متهم».

قلت: ذكره الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٣٦٣/٢٤٦/٦) قال: عمرو بن عبد الغفار ابن أخي الحسن بن عمرو الفقيمي سمعت أبي يقول: «متروك الحديث». اهـ.

قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٤٦/٥) (١٣١١/٣٤٣): عمرو بن عبد الغفار الفقيمي الكوفي: ليس بالثبت بالحديث، حدث بالمناكير في فضائل علي رضي الله عنه، وكان السلف يتهمونه بأنه يضع في فضائل أهل البيت وفي مثالب غيرهم. اهـ.

وقال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٢٨٥/٢٨٦/٣): «عمرو بن عبد الغفار الفقيمي: منكر الحديث».

وذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٤٠٣/٢٧٢/٣)، ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناه آنفًا في عمرو بن عبد الغفار الفقيمي وأقرها، ثم ذكر أن الإمام ابن المديني قال: «رافضي تركته لأجل الرفض». اهـ.

قلت: فهذا الطريق يزيد القصة وهنًا على وهن بهذا الرافضي المتهم المتروك، وكذلك إمامه في التشيع يزيد بن أبي زياد الذي لقنه دجاجلة الشيعة هذه الموضوعات من الطريق الأول.

طريق ثالث: حديث ابن عباس:

١١- ظن الإمام السيوطي أن هذا الطريق سيدفع الوضع عن حديث أبي برزة فقال- عفا الله عنا وعنه- في «اللآلئ المصنوعة» (٤٢٧/١): «وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني في «الكبير».

١٢- فتعقبه المعلمي اليماني في «الفوائد المجموعة» (ص٤٠٨) قال: «ساق السيوطي سنده في «اللآلئ» على خطأ فيه وهو من طريق عيسى بن سوادة النخعي- وهو كذاب». اهـ.

١٣- قلت: تحقيق قول المعلمي اليماني في تعقبه على السيوطي:

قوله: «ساق السيوطي سنده في «اللآلئ» على خطأ فيه». اهـ.

قلت: فالسند الذي ساقه الإمام السيوطي في «اللآلئ» (٤٢٧/١) وعزاه إلى الطبراني في «الكبير»: «حدثنا علي بن الجارود الأصبهاني، حدثنا عبد الله بن عباد، عن سعيد الكندي، حدثنا عيسى بن الأسود، والنخعي، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم صوت رجلين يتغنيان...» القصة.

قلت: وهذا هو سند الإمام الطبراني حتى يستبين بالمقارنة الخطأ، فقد أخرج الخبر الذي جاءت به القصة الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٨/١١) (ح١٠٧٠٠) قال: حدثنا أحمد بن علي الجارودي، حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي حدثنا عيسى بن سوادة النخعي عن ليث عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت رجلين..» القصة.

قلت: ولقد استبان الخطأ:

أ- فالراوي: عبد الله بن سعيد الكندي: حدث فيه خطأ عند السيوطي في «اللآلئ» فحرف إلى راويين حيث جاء فيه: «عبد الله بن عباد عن سعيد الكندي».

ب- والراوي عيسى بن سوادة النخعي: حدث فيه خطأ عند السيوطي في «اللآلئ» فحرف إلى راويين أيضًا حيث جاء فيه: «عيسى بن الأسود والنخعي». اهـ.

جـ- ولذلك نجد الإمام الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢١/٨) قال: «رواه الطبراني وفيه عيسى بن سوادة النخعي كذاب».

د- من أجل هذا قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٥١/١٤): «ولعله خفي على السيوطي لأنه وقع عنده محرفًا إلى عيسى بن الأسود النخعي». اهـ.

قلت: وهو كما بينا محرفًا إلى «عيسى بن الأسود والنخعي» (كما هو مبين ط. دار المعرفة بيروت)، ولو رجع الإمام السيوطي- عفا الله عنا وعنه- وهو المتوفى سنة ٩١١هـ إلى الإمام الحافظ الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ في «المجمع» لتبين له علة هذا الخبر وهو عيسى بن سوادة النخعي وتبين له حاله حيث قال الهيثمي: «كذاب» كما بينا آنفًا، بل ومن قبل الهيثمي قد بيّن حاله الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ حاله فقال: في «الميزان» (٦٥٦٩/٣١٢/٣): «عيسى بن سوادة النخعي، قال أبو حاتم منكر الحديث، وقال ابن معين كذاب». اهـ.

ولقد بيّن حاله الإمام الذهبي من رجوعه إلى الإمام الحافظ ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ حيث قال في «الجرح والتعديل» (١٥٣٩/٢٧٧/٦): «سألت أبي عنه؟ فقال: هو منكر الحديث». اهـ. فنقله عنه في «الميزان» ومن قبلهم بين حاله الإمام يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣هـ وقال: «كذاب»، ونقله الحافظ الذهبي في «الميزان».

من أجل هذا تعقب المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد» السيوطي فقال: «وهو من طريق عيسى بن سوادة النخعي- وهو كذاب».

قلت: وبهذا لا يصلح حديث ابن عباس شاهدًا بل يزيد حديث أبي برزة وهنًا على وهن، كما هو مبين عند أهل الصنعة الحديثية، قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» ص(٣٣): «قال الشيخ أبو عمرو: الضعيف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

١٣- قاعدة:

قلت: لذلك قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٦): «ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعًا».

ومن هذه الكليات رقم (٢٥١) قال: «ومن ذلك: الأحاديث في ذم معاوية، وكل حديث في ذمه فهو كذب».

وكذلك من هذه الكليات رقم (٢٥٣) قال: «كل حديث في ذم عمرو بن العاص فهو كذب». اهـ.

قلت: وما أوردناه من الصناعة الحديثة لعلم الحديث التطبيقي هو تطبيق لهذه القاعدة.

١٤- طريق آخر يبين أسباب الوضع في الحديث:

حاول بعض الوضاعين أن يدافعوا عن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فوضعوا سندًا آخر للقصة، وبدلوا اسم معاوية وعمرو باسمين من المنافقين، هذا الحديث الموضوع أخرجه ابن قانع في «معجمه» من حديث شقران، ونقله السيوطي في «اللآلئ» (٤٢٧/١) قال: «وقال ابن قانع في معجمه حدثنا محمد بن عبدوس كامل، حدثنا عبد الله بن عمر، حدثنا سعيد بن أبي العباس التيمي، حدثنا سيف بن عمر، حدثني أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحة بن زيد بن أسلم، عن صالح، عن شقران قال: بينما نحن ليلة في سفر إذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوتًا فقال: ما هذا؟ فذهبت أنظر فإذا هو معاوية بن رافع، وعمرو بن رفاعة بن التابوت يقول:

لا يَزالُ حَوارِيَّ تَلُوحُ عِظَامُهُ
زَوَى الحَرْبَ عَنْهُ أَنْ يُجَنَّ فَيُقْبَرَا

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: «اللهم أركسهما في الفتنة ركسًا، اللهم دعهما إلى النار دعًا».

واغتر الإمام السيوطي- عفا الله عنا وعنه- بهذه الرواية التي نقلها عن ابن قانع من حديث شقران فقال في «اللآلئ» (٤٢٧/١): «وهذه الرواية أزالت الإشكال، وبينت أن الوهم وقع في الحديث الأول في لفظة واحدة وهي قوله: «ابن العاص»، وإنما هو: «ابن رفاعة» أحد المنافقين، وكذلك معاوية بن رافع أحد المنافقين، والله أعلم».

١٥- تعقيب:

أ- فتعقبه الألباني رحمه الله فقال في «الضعيفة» (١٥١/١٤): «يقال للسيوطي: أثبت العرش ثم انقش. فهذه الرواية في الضعف الشديد مثل حديث ابن عباس، يكفي أن فيها (سيف بن عمر)، وهو: التميمي صاحب «الفتوح» قال الذهبي في «المغني»: «متروك باتفاق». اهـ.

قلت: ولقد بين الإمام الحافظ الذهبي ذلك في «الميزان» (٣٦٣٧/٢٥٥/٢) فقال: «سيف بن عمر الضبي الأسيدي ويقال التميمي البُرْجمي ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والردة وغير ذلك، وهو كالواقدي يروي عن خلق كثير من المجهولين كان إخباريًا، وروى مطين عن يحيى: فلس خير منه، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر». اهـ.

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣٤١/١): «سيف بن عمر الضبي الأسدي اتهم بالزندقة يروي الموضوعات عن الأثبات». اهـ.

ب- ولقد تعقبه من قبل المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد» (ص٤٠٨) فقال: «حديث شقران في سنده سيف بن عمر وهو هالك، ومن لم أتحقق معرفته». اهـ.

قلت: وبهذا التحقيق يتبين أن هذه القصة مفتراة على الصحابيين معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وأن أئمة هذه الصنعة لم يروا البلاء في هذه القصة إلا من يزيد بن أبي زيد؛ فإنه من أئمة الشيعة الكبار، واستحوذ عليه بعض دجاجلتهم، فلقنه الموضوعات حتى قال ابن المبارك: «ارم به» كما بينا، وهذا الشيعي هو صاحب القصة المفتراة على العالم الحبر عكرمة مولى ابن عباس ويكررها منكرو السنة على الفضائيات ليتخذ هذا الجاهل بالإسناد بل المنكر للإسناد من الطعن في عكرمة طعنًا في صحيح الإمام البخاري، ومن أمحل المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح، ومن يكرر كلام الشيعي المجروح فهو مجروح، هذا المنكر للسنة ما أراه إلا جاهل مغرور، أو رويبضة مأجور، والأخيرة يبينها قوله الذي نطق به لسانه: «لكي تفسد عقل من آمن لا بد أن تشككه». اهـ.

فيا أيها المنكر للسنة المشكك في أعلى درجات صحتها، الساعي لإفساد عقول المؤمنين، أبشر بقول ربِّ العالمين: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ» (البقرة:٢٠٤، ٢٠٥).

هذا ما وفقني الله إليه.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

قال الله عز وجل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ» (الحج: ٧٧).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر. (صحيح مسلم).

زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات. (صحيح الجامع)

من دلائل النبوة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله». (مسند أحمد).

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله: أُبي بن كعب، وأفرضهم: زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». (مسند أحمد).

حكم ومواعظ

عن الحسن البصري قال: «أكثروا الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم؛ فإنكم لا تدرون في أي وقت تنزل البركة». (شعب الإيمان للبيهقي).

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال في خطبته: «يا أيها الناس!! عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عز وجل الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفُرقة». (الشريعة للآجري)

إعداد/ علاء خضر

من مكاتبات العلماء

عن سعيد بن المسيب رحمه قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك - ولا تظنن بكلمة خرجت من أمر مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرَّض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه. (شعب الإيمان)

الغاية من جمع المال!

قال سعيد بن المسيب- وقد ترك دنانير- رحمه الله: «اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه ويصل رحمه ويكف به وجهه أي «عن السؤال». (الآداب الشرعية).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«من أذنب ذنبًا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر». موضوع.

إن المغفرة من الذنوب لا تكون بمجرد الندم والعلم أن الله مطلع على المذنب فقط بل لابد من التوبة النصوح. (السلسلة الضعيفة للألباني).

من معاني الأحاديث

المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: «سددوا وقاربوا» أي اقتصدوا في الأمور كلها، واتركوا الغلو فيها والتقصير. يقال: قارب فلان في أموره إذا اقتصد. (النهاية في غريب الحديث)

من حكمة الشعر

قال الشافعي:

لما عفوتُ ولم أحقدْ على أحدٍ ... أرحتُ نفسيَ من هَمِّ العداواتِ

إني أُحَيِّ عدوي عند رؤيته ... لأدفعَ الشر عني بالتحيات

خلق حسن فالزمه

قال أبو سليمان الداراني: «جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل في قلبه خصالاً: الكرم والسخاء والحلم والرأفة والشكر والبر والصبر». (عدة الصابرين)

خلق سيئ فاحذره

قال النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- على المنبر: «إنّ للشيطان مصائد وفخوخًا، وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتّباع الهوى في غير ذات الله». (إحياء علوم الدين).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (٧٣)

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الطلاق المعلق

الحلقة الثانية

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ذكرنا الأقوال الثلاثة في الطلاق المعلق -في العدد قبل الماضي-: قول الجمهور بوقوعه في جميع الأحوال. والقول الثاني وهو ما ذهب إليه ابن تيمية وابن القيم ومن وافقهما، من التفرقة بين الطلاق المعلق الذي يجري مجرى القسم وبين الذي يقصد به صاحبه وقوع الطلاق.

والقول الثالث: وهو ما ذهب إليه ابن حزم ومن وافقه، بعدم وقوع الطلاق المعلق في جميع الأحوال. وقد استعرضنا أدلة الجمهور، وبدأنا في الكلام عن أدلة القول الثاني

ونستأنف البحث- بإذن الله تعالى - فنقول: أما الآثار عنهم - عن الصحابة - في خلافه (أي عدم وقوع الطلاق المعلق): فصح عن عائشة وابن عباس وحفصة وأم سلمة - رضي الله عنهم - فيمن حلفت بأن كل مملوك لها حر إن لم تفرق بين عبدها وبين امرأته، أنها تكفر عن يمينها ولا تفرق بينهما (انظر إعلام الموقعين ٣/٤٨-٥١).

وهذا الأثر الذي يشير إليه ابن القيم، عن أبي رافع قال: قالت لي مولاتي ليلى ابنة العجماء: كل مملوك لها حر، وكل مال لها هدي وهي يهودية ونصرانية إن لم تطلق زوجتك أو تفرق بينك وبين امرأتك. قال: فأتيت زينب ابنة أم سلمة، وكانت إذا ذكرت امرأة بفقه ذكرت زينب. قال فجاءت معي إليها، فقالت: أفي البيت هاروت وماروت؟ فقالت: يا زينب جعلني الله فداك إنها قالت كل مملوك لها حر وهي يهودية ونصرانية. فقالت يهودية ونصرانية؟! خلّي بين الرجل وامرأته. قال: فكأنها لم تقبل ذلك.

قال: فأتيت حفصة- رضي الله عنها - فأرسلت معي إليها، فقالت: يا أم المؤمنين جعلني الله فداك إنها قالت كل مملوك لها حر وكل مال لها هدي وهي يهودية ونصرانية. قال: فقالت حفصة: يهودية ونصرانية، خلّي بين الرجل وامرأته فكأنها أبت.

فأتيت عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فانطلق معي إليها فلما سلم عرفت صوته، فقالت: بأبي أنت وبآبائي أبوك. فقال: أمن؟! حجارة أنت أم من حديد أم من أي شيء أنت أفتتك زينب وأفتتك أم المؤمنين فلم تقبلي منهما. قالت: يا أبا عبد الرحمن جعلني الله فداك، إنها قالت كل مملوك لها حر، وكل مال لها هدي، وهي يهودية ونصرانية. قال: يهودية ونصرانية؟! كفري عن يمينك وخلّي بين الرجل وامرأته. (رواه عبد الرزاق في المصنف ح ١٦٠٠٠).

وقد جمع ابن القيم طرقه في الإعلام وقال بصحته، وأشار إلى العلة التي أعل بها

الإمام أحمد الحديث وهي تفرد التيمي بذكر العتق، كذا قال الإمام أحمد: ولم يقل: وكل مملوك لها حر إلا التيمي وبرأ التيمي من عهدة التفرد، وقاعدة الإمام أحمد أن ما أفتى به الصحابة: لا يخرج عنه إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، فعلى أصله الذي بنى مذهبه عليه يلزمه القول بهذا الأثر لصحته وانتفاء علته.

والشاهد في الحديث، أن الصحابة أفتوها بأن عليها كفارة يمين، ولم يوجبوا عليها عتقاً، قال ابن تيمية: فإذا أفتوا بالحلف في العتق الذي هو أحب إلى الله تعالى من الطلاق، أنه لا يلزمه الحالف، بل يجزئه كفارة يمين فكيف يكون قولهم في الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله؟ (مجموع الفتاوى ٥٠/٣٣).

فإن قيل للحديث علة أخرى، وهي التي منعت الإمام أحمد من القول به، وقد أشار إليها في رواية الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول في حديث ليلى بنت العجماء حين حلفت بكذا وكذا وكل مملوك لها حر فأفتيت بكفارة يمين، فاحتج بحديث ابن عمر وابن عباس حين أفتيا فيمن حلف بعتق جاريته وأيمانه، فقال: أما الجارية فتعتق.

وذكر ابن القيم الأثر: حلفت امرأة من آل ذي أصبح فقالت: مالها في سبيل الله وجاريتها حرة إن لم تفعل كذا وكذا لشيء يكرهه زوجها، فحلف زوجها أن لا تفعله فسأل عن ذلك ابن عباس وابن عمر، فقالا: أما الجارية فتعتق. وأما قولها: مالي في سبيل الله: فتتصدق بزكاة مالها.

وقال: إن هذا الأثر معلول تفرد به عثمان، وهذا حديث ليلى بنت العجماء أشهر إسناداً وأصح من حديث عثمان، فإن رواته حفاظ أئمة، وقد خالفوا عثمان، وأما ابن عباس فقد روي عنه خلاف ما رواه عثمان فيمن حلف بصدقة ماله، قال: يكفر يمينه، وغاية هذا الأثر إن صح أن يكون عن ابن عمر روايتان. ولم يختلف على عائشة وزينب وحفصة وأم سلمة.

فهذه فتوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلف بالعتق، وقد قدمنا فتاويهم في وقوع الطلاق المعلق بالشرط، ولا تعارض بين ذلك، فإن الحالف لم يقصد وقوع الطلاق، وإنما قصد منع نفسه بالحلف مما لا يريد وقوعه، فهو كما لو قصد منع نفسه بالتزام التطليق والإعتاق والحج والصوم وصدقة المال، وكما لو قصد منع نفسه بالتزام ما يكرهه من الكفر، فإن كراهته لذلك كله وإخراجه مخرج اليمين بما لا يريد وقوعه منع من ثبوت حكمه وهذه علة صحيحة فيجب طردها في الحلف بالعتق والطلاق إذ لا فرق البتة.

ثم قال ابن القيم: وصح عن طاووس من رواية عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عنه: ليس الحلف بالطلاق شيئا، وصح عن عكرمة من رواية سنيد بن داود بن علي في تفسيره عنه: أنها من خطوات الشيطان لا يلزم بها شيء. وصح عن شريح قاضي أمير المؤمنين علي وابن مسعود أنها لا يلزم بها طلاق، وهو مذهب داود بن علي وجميع أصحابه وهو قول بعض أصحاب مالك في بعض العصور.

كقوله: إن كلمت فلانا فأنت طالق. فقال: لا تطلق إن كلمته... ثم نقل عن بعض الشافعية أقوالهم بأن فيها ثلاثة أوجه: ١- أنه من كنايات الطلاق ويرجع فيه إلى النية.

٢- أنه طلاق صريح يقع بكل حال.

٣- أنه ليس بصريح ولا كناية ولا يقع به طلاق وإن نواه، وهذا اختيار القفال في فتاويه.

ثم أنكر دعوى الإجماع وكيف يكون إجماعا؟ وهذه أقوال أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم (انظر إعلام الموقعين ٥١/٣-٥٥).

القول الثالث: والذي ذهب إليه ابن حزم ومن وافقه أن الطلاق المعلق بصورتيه (المعلق على صفة والمستخدم كيمين) لا يقع، فقال: واليمين بالطلاق لا يلزم - سواء بر أو حنث -

لا يقع به طلاق، ولا طلاق إلا كما أمر الله عز وجل، ولا يمين إلا كما أمر الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

واستدل على ما ذهب إليه بأدلة منها:

١- قول الله عز وجل: (ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) (المائدة ٨٩)، قال: وجميع المخالفين لنا هاهنا لا يختلفون في أن اليمين بالطلاق والعتاق والمشي إلى مكة، وصدقة المال، فإنه لا كفارة عندهم في حنثه في شيء منه إلا الوفاء بالفعل أو الوفاء باليمين فصح بذلك يقيناً أنه ليس شيء من ذلك يميناً. إذ لا يمين إلا ما سماه الله تعالى يميناً.

٢- قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.... عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله. فارتفع الإشكال في أن كل من حلف بغير الله عز وجل فإنه معصية وليس يميناً، ثم ساق ابن حزم أدلة المخالفين له ورد عليها.(وقال: فهؤلاء على ابن أبي طالب، وشريح وطاووس، لا يقضون بالطلاق على من حلف به فحنث، ولا يعرف لعلى في ذلك مخالف من الصحابة رضي الله عنهم).

ثم قال: والطلاق بالصفة عندنا كما هو الطلاق باليمين، كل ذلك لا يلزم ولا يكون طلاقاً إلا كما أمر الله تعالى به وعلمه، وهو القصد إلى الطلاق، وأما ما عدا ذلك فباطل، وتعد لحدود الله عز وجل. وأنكر ابن حزم على مخالفيه الذين يقولون بالقياس - كمصدر من مصادر التشريع - لماذا لم يستخدموه ويعدون العلة من الطلاق المعلق إلى النكاح والرجعة تعليقاً.

وقال: من أين أجزتم الطلاق بصفة (المعلق بصفة) ولم تجيزوا النكاح بصفة والرجعة بصفة كمن قال: إذا دخلت الدار فقد راجعت زوجتي المطلقة. أو قال: فقد تزوجتك؟ وقالت هي مثل ذلك، وقال الولي مثل ذلك -ولا سبيل إلى فرق - ثم قال عن الطلاق بصفة، كمن قال: إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق، أو ذكر وقتاً ما فلا تكون طالقاً بذلك، لا الآن، ولا إذا جاء رأس الشهر.

واستدل على ذلك بأنه لم يأت قرآن ولا سنة بوقوع الطلاق بذلك، وقد علمنا الله الطلاق على المدخول بها، وفي غير المدخول بها، وليس هذا فيما علمنا (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ) (الطلاق: ١)، وإن كل طلاق لا يقع حين إيقاعه فمن المحال أن يقع بعد ذلك في حين لم يوقعه فيه ورد على أدلة المخالفين فقال: وأن من أجاز هذا النوع من الطلاق احتج بقوله تعالى: (أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ) (المائدة: ١).

فقال: إنما هذا في كل عقد أمر الله تعالى بالوفاء به أو ندب إليه، لا في كل عقد جملة، ولا في معصية، ومن المعاصي أن يطلق بخلاف ما أمر الله تعالى به فلا يحل الوفاء به، واحتجوا أيضاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: المسلمون عند شروطهم. ثم رد وقال: وهذا كالذي مثله (أي الآية) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل). والطلاق إلى أجل مشترط بشرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل.

ثم قال عن قياسهم الطلاق المعلق إلى أجل على المداينة إلى أجل، والعتق إلى أجل. فقال: القياس باطل... لأن المداينة والعتق جاء في جوازهما إلى أجل النص، ولم يأت ذلك في الطلاق ثم أنكر القول بإجماع على القول بوقوع الطلاق عند وقوع الأجل. وقال هذا باطل. وما أجمعوا قط على ذلك.

ثم قال عن أثر ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: من قال لامرأته: أنت طالق إلى رأس السنة أنه يطؤها ما بينه وبين رأس السنة بأنهم احتجوا به وقالوا هذا قول صاحب لا يعرف له من الصحابة مخالف. بأن هذا لا يصح إسناداً؛ لأن به كذاب مشهور بالوضع وهو أبو العطوف الجراح بن المنهال الجزري (انظر المحلى ٩/٤٧٦-٤٨٣).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

تلخيص الأحكام إذا اجتمع العيدان

إعداد/ د . حمدي طه

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي هذا العدد نتناول مسألتين من المسائل الفقهية التي يكثر السؤال عنها كلما اجتمع العيد والجمعة، وهما:

١- هل تسقط صلاة الجمعة بصلاة العيد؟

٢- إذا سقطت الجمعة هل تسقط إلى بدل أم لا؟

وسوف أذكر ما ورد في هاتين المسألتين من أحاديث وآثار وأذكر اختلاف علماء السلف في هاتين المسألتين، وأسوق سبب الاختلاف وأقوال المذاهب فيها، وأذكر بعض الفوائد الحديثية واللطائف العلمية ثم أبين ما ترجح لدى أئمة التحقيق من علماء القرون المتأخرة، وذلك لتيسير العمل بهذه الأحكام وخروجًا من دائرة الخلاف الذي اتسعت له صدور المتقدمين، وضاق به ذرعًا المتأخرون، وليكون العامل بهذه الأحكام على دراية بمستندها الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع.

اعلم أنه لن يُنال الفقه إلا بجمع كل ما جاء في الباب، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: (الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه والحديث يفسر بعضه بعضًا)، وكذا قال ابن المديني رحمه الله: (الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه).

المسألة الأولى: اجتماع العيدين في يوم:

أولاً: الأحاديث الواردة في المسألة:

هذه المسألة تدور علي أربعة أحاديث وبعض الآثار، وفيما يلي بيانها مع تخريجها:

١- عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قد اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة، وإنا مجمعون». (أخرجه أبو داود (١٠٧٣) وابن ماجه (١٣١١)، وحكم عليه بعض العلماء بالصحة؛ وفيه بقية لكنه قد صرح بالتحديث فيه وهو صدوق في نفسه، لذا قال الحاكم رحمه الله بعده: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، فإن بقية بن الوليد لم يختلف في صدقه إذا روى عن المشهورين. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٥٥/١): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقال الذهبي (في تلخيص المستدرك): صحيح غريب.. وقال الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٥): صحيح.

وقال أبو إسحاق الحويني في غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود (٢٦٠/١): إسناده

حسن، وهو حديث صحيح.

وضعفه بعض أهل العلم، قال ابن عبد البر في التمهيد (١٠/٢٧٢): وهذا الحديث لم يروه فيما علمت عن شعبة أحد من ثقات أصحابه الحفاظ وانما رواه عنه بقية بن الوليد وليس بشيء في شعبة أصلاً، وروايته عن أهل بلده أهل الشام فيها كلام وأكثر أهل العلم يضعفون بقية عن الشاميين وغيرهم وله مناكير وهو ضعيف ليس ممن يحتج به.

وقال النووي: إسناده ضعيف. (المجموع ٤/٣٥٩).

ولكن يشهد للحديث ما يأتي بعده من الشواهد وإن كان في كل منها مقال.

(٢)- عن إياس بن أبي رملة الشامي قال: شهدت معاوية بن أبي سفيان وهو يسأل زيد بن أرقم قال: أشهدت مع رسول الله عيدين اجتمعا في يوم؟ قال: نعم، قال: فكيف صنع؟ قال: صلى العيد ثم رخص في الجمعة فقال: (من شاء أن يصلي فليصل). أخرجه أبو داود(١٠٧٠) والنسائي في الكبرى (١٧٩٣) وابن ماجه (١٣١٠) وأحمد في المسند (٤/٣٧٢) كلهم من طريق إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن إياس به.

وإسناد الحديث ضعيف، ومدار حديث زيد بن أرقم في جميع رواياته على إياس بن أبي رملة وهو مجهول. لذا قال ابن المنذر: لا يثبت هذا، فإن إياسًا مجهول، وبقية رجاله ثقات اهـ. نقله الذهبي في ترجمة إياس (١/٢٨٢). وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه ابن المديني قاله الحافظ ابن حجر وقد أطال في تخريجه. ولعله صححه لشواهده التي يتقوى بها. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وصححه ابن المديني كما في التلخيص (٢/٩٤) وقال النووي في المجموع (٤/٣٥٩): إسناده جيد.

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المحلى: كلا بل هو حديث صحيح وأعله بعضهم بأن إياس بن أبي رملة مجهول، وأما إسرائيل فإنه ثقة حجة. اهـ.

وقول الشيخ أحمد شاكر غير مستقيم؛ إذ المجهول أو الجهالة في السند علة قادحة عند جميعهم لا يختلفون في ذلك.

وحديث زيد بن أرقم هذا وإن صححه الأئمة من أمثال ابن المديني وابن خزيمة والحاكم يكدر هذا التصحيح جهالة ابن أبي إياس، والحديث به غير مستقيم. (ثلاث مسائل فقهية في أحكام العيدين للشيخ أبي حفص الجزائري ص٣).

(٣)-عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اجتمع عيدان على عهد رسول الله (فصلى بالناس، ثم قال: من شاء أن يأتي الجمعة فليأتها، ومن شاء أن يتخلف فليتخلف). أخرجه ابن ماجه (١٣١٢) والحديث إسناده ضعيف.

(٤)- عن عطاء بن أبي رباح قال: صلى بنا ابن الزبير في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانًا، وكان ابن عباس بالطائف فلما قدم ذكرنا ذلك له فقال: أصاب السنة. أخرجه أبو داود (١٠٧١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.. ووافقه الذهبي، والصواب ما قاله الإمام النووي في المجموع (٤/٣٥٩): إسناده صحيح على شرط مسلم. ا.هـ.

والحديث أعله ابن عبد البر بالاضطراب في التمهيد (١٠/٢٧٤).

وبعد عرض الأحاديث وكلام أهل العلم عليها نجد أن أصح ما في الباب حديث ابن الزبير.

ولعل قائلاً أن يقول: لماذا أوردت هذا في الأحاديث مع أنه من فعل ابن الزبير؟

فالجواب عليه: أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصاب السنة، وقوله هذا يحتمل رفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال ابن خزيمة رحمه الله: قول ابن عباس (أصاب ابن الزبير السنة) يحتمل أن يكون أراد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وجائز أن يكون أراد سنة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي، ولا أخال أنه أراد به أصاب السنة في تقديمه الخطبة قبل صلاة العيد؛ لأن هذا الفعل خلاف سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، وإنما أراد تركه أن يجمّع بهم بعدما قد صلى بهم صلاة العيد فقط دون تقديم الخطبة قبل صلاة العيد.

والمسألة مطروحة في كتب المصطلح: أن الصحابي إذا قال من السنة كذا فإن المراد به رفع ذلك.

الآثار الواردة في هذه المسألة:

(١) عن أبي عبيد مولى بن أزهر أنه شهد العيد مع عثمان بن عفان، فكان ذلك يوم الجمعة فصلى

قبل الخطبة ثم خطب فقال: (يا أيها الناس إن هذا يوم قد اجتمع لكم فيه عيدان، فمن أحب أن ينتظر الجمعة من أهل العوالي فلينتظر ومن أحب أن يرجع فقد أذنت له) (أخرجه البخاري ٥٥٧١، ٥٥٧٢، ٥٥٧٣).

(٢) عن أبي عبد الرحمن قال: اجتمع عيدان على عهد علي فصلى بالناس، ثم خطب على راحلته، فقال: يا أيها الناس من شهد منكم العيد فقد قضى جمعته إن شاء الله. أخرجه عنه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٣) وابن المنذر في الأوسط (٤/٢٩٠ - ٢١٨٤) كلاهما من طريق أبي الأحوص ثنا عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن به.

وهذا إسناد حسن. والأثر قد رواه عبدالرزاق في المصنف (٣/٣٠٥ - ٥٧٣١) عن الثوري عن عبدالله عن أبي عبد الرحمن عن علي قال: (اجتمع عيدان في يوم فقال من أراد أن يجمّع فليجمّع، ومن أراد أن يجلس فليجلس)، قال سفيان يعني يجلس في بيته. إسناده صحيح.

(٣) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال اجتمع عيدان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أحب أن يجلس من أهل العالية فليجلس في غير حرج. أخرجه الشافعي في مسنده (ص٧٧) من طريق إبراهيم بن عقبة عن عمر به. وهو إسناد صحيح إلى عمر، ثم إنه مرسل من عمر بن عبدالعزيز إلى النبي صلى الله عليه وسلم.. وقد تقدم عن عثمان نحوه.

وبعد هذه المقدمات نخلص إلى مسألتنا وهي إذا ما وافق العيد جمعة فما هي الأحكام المترتبة على ذلك فأقول:

ثانياً: حكم أداء الجمعة إذا وافقها عيد:

اختلف العلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال مشهورة:

الأول: ذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا وَافَقَ الْعِيدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلاَ يُبَاحُ لِمَنْ شَهِدَ الْعِيدَ التَّخَلُّفُ عَنِ الْجُمُعَةِ. وبه قال ابن حزم وغيره (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/٢٠٨).

والحنفية عللوا بأن الجمعة فرض، والعيد سنة، ولا يسقط الفرض بأداء السنة لقول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ» (سورة الجمعة الآية٩). (الرأي السديد لابن جبرين ص٣).

ومذهب مالك رحمه الله تعالى عدم سقوط الجمعة عن أهل الحضر والمصر إذا شهدوا العيد، ولو أذن لهم الإمام، حيث لم يوافق على فعل عثمان في إذنه لأهل العوالي، وهكذا ما ذكره شارح مختصر خليل من أن شهود العيد لا يبيح التخلف عن الجمعة، سواء كان في داخل البلد أو خارجه، وأن إذن الإمام لا يبرر التخلف عن الجمعة، وخص بعضهم الخلاف أنه فيمن هو خارج البلد، وقد حمل ابن عبد البر الرخصة في الأحاديث على اختصاصها بالبوادي، ومن لا تجب عليه ممن هو خارج البلد، ورأى أن عموم كلام مالك ومذهبه فيمن تجب عليهم الجمعة عدم سقوطها عن أهل العوالي؛ لأنهم من المدينة على ثلاثة أميال أو نحوها، ويمكن أن سقوطها عنهم لكونهم خارج البلد.

وقال ابن حزم في المحلى (٥/٨٩): مسألة وإذا اجتمع عيد في يوم جمعة صلى للعيد ثم للجمعة ولا بد ولا يصح أثر بخلاف ذلك.. ثم قال: قال أبو محمد: الجمعة فرض والعيد تطوع والتطوع لا يسقط الفرض.ا.هـ.

قال ابن المنذر في الأوسط (٤/٢٩١): أجمع أهل العلم على وجوب صلاة الجمعة، ودلت الأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن فرائض الصلوات خمس، وصلاة العيدين ليس من الخمس، وإذا دل الكتاب والسنة والاتفاق على وجوب صلاة الجمعة، ودلت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن صلاة العيد تطوع، لم يجز ترك فرض بتطوع.

ومما سبق يتبين استدلال هؤلاء بالأدلة العامة على وجوب صلاة الجمعة. وأن صلاة العيد تطوع لا فرض ولا واجب. والقاعدة عندهم: التطوع لا يسقط الفرض.. وضعف ابن عبد البر حديث أبي هريرة، كما تقدم وأثر ابن الزبير، كما ضعف ابن حزم أثر ابن الزبير كما في المحلى.

القول الثاني: أَجَازَ الشَّافِعِيَّةُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يُوَافِقُ فيه الْعِيدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لأَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّذِينَ يَبْلُغُهُمُ النِّدَاءُ لِصَلاَةِ الْعِيدِ: الرُّجُوعُ وَتَرْكُ الْجُمُعَةِ، وَذَلِكَ فِيمَا لَوْ حَضَرُوا لِصَلاَةِ الْعِيدِ وَلَوْ رَجَعُوا إِلَى

أَهْلِيهِمْ فَاتَتْهُمُ الْجُمُعَةُ ؛ فَيُرَخَّصُ لَهُمْ فِي تَرْكِ الْجُمُعَةِ تَخْفِيفًا عَلَيْهِمْ. وَمِنْ ثَمَّ لَوْ تَرَكُوا الْمَجِيءَ لِلْعِيدِ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْحُضُورُ لِلْجُمُعَةِ، وَيُشْتَرَطُ - أَيْضًا - لِتَرْكِ الْجُمُعَةِ أَنْ يَنْصَرِفُوا قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ الْجُمُعَةِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٠٨/٢٧).

قال الإمام النووي في المجموع (٣٥٩/٤) قد ذكرنا أن مذهبنا وجوب الجمعة على أهل البلد وسقوطها عن أهل القرى، وبه قال عثمان بن عفان وعمر بن عبدالعزيز وجمهور العلماء.. وقال محمد بن الحسن في رواية الموطأ بعد أثر عثمان: وبهذا نأخذ - يعني بأثر عثمان - وإنما رخص عثمان لأهل العالية، لأنهم ليسوا من أهل المصر. قال الإمام النووي: واحتج أصحابنا بحديث عثمان، وتأولوا الباقي على أهل القرى. ورجحه من المعاصرين العلامة ابن جبرين رحمه الله (انظر الرأي السديد ص ٣).

واستدل هؤلاء بالأدلة العامة الموجبة لصلاة الجمعة ولا تسقط إلا لمن رخص له، ولم يرخص إلا لأهل العوالي كما تقدم. ورد بأن قول عثمان لا يخصص قوله صلى الله عليه وآله وسلم (نيل الأوطار - الشوكاني ٣٤٧/٣).

القول الثالث: أن من شهد العيد سقطت عنه الجمعة إلا الإمام؛ فإنها لا تسقط عنه إلا أن لا يجتمع له من يصلي به الجمعة. وهو مذهب عمر وعثمان وعلي وسعيد وابن عمر. وهو المشهور من مذهب أحمد قاله ابن قدامة في المغني (٢٤٢/٣) وقال عبد الله بن أحمد في مسائله المسألة ٤٨٢: سألت أبي عن عيدين اجتمعا في يوم يترك أحدهما؟ قال: لا بأس به أرجو أن يجزئه. فأما الإمام فلم تسقط عنه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنا مجمعون» ولأنه لو تركها لامتنع فعل الجمعة في حق من تجب عليه، ومن يريدها ممن سقطت عنه، بخلاف غيره من الناس

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢١١/٢٤) بعد أن ساق هذا القول: «وهذا هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: كعمر، وعثمان، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير وغيرهم. ولا يعرف عن الصحابة في ذلك خلاف وأصحاب القولين المتقدمين لم يبلغهم ما في ذلك من السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم لما اجتمع في يومه عيدان صلى العيد ثم رخص في الجمعة، وفي لفظ أنه قال: أيها الناس إنكم قد أصبتم خيرًا، فمن شاء أن يشهد الجمعة فليشهد فإنا مجمعون. وأيضًا فإنه إذا شهد العيد حصل مقصود الاجتماع، ثم إنه يصلي الظهر إذا لم يشهد الجمعة، فتكون الظهر في وقتها، والعيد يحصل مقصود الجمعة، وفي إيجابها على الناس تضييق عليهم، وتكدير لمقصود عيدهم، وما سن لهم من السرور فيه والانبساط، فإذا حبسوا عن ذلك عاد العيد على مقصوده بالإبطال، ولأن يوم الجمعة عيد، ويوم الفطر والنحر عيد، ومن شأن الشارع إذا اجتمع عبادتان من جنس واحد أدخل إحداهما في الأخرى، كما يدخل الوضوء في الغسل، وأحد الغسلين في الآخر، والله أعلم».اهـ.

واختار هذا الرأي من المعاصرين العلامة ابن عثيمين رحمه الله (فتاوى نور على الدرب).

الرابع: إذا صلوا العيد لم تجب بعده في هذا اليوم صلاة الجمعة ولا الظهر ولا غيرهما إلى العصر، لا على أهل القرى ولا أهل البلد. وبه قال عطاء بن أبي رباح قال ابن المنذر: وروينا نحوه عن علي بن أبي طالب وابن الزبير رضي الله عنهم (المجموع ٣٥٩/٤).

واستدلوا كذلك بأثر ابن الزبير كما يقول عطاء: (صلى بنا ابن الزبير في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانا وكان ابن عباس بالطائف فلما قدم ذكرنا ذلك له فقال: أصاب السنة)، فإن ابن الزبير كان هو الإمام إذ ذاك ولم يخرج للجمعة يوم العيد فدل على عدم وجوبها، وكذلك قول ابن عباس أصاب السنة لفعل ابن الزبير يدل عليه، لذا قال الشوكاني رحمه الله في النيل ٣٤٧/٣: ويدل على عدم الوجوب أن الترخيص عام لكل أحد، ترك ابن الزبير للجمعة وهو الإمام إذ ذاك، وقول ابن عباس: أصاب السنة. رجاله رجال الصحيح، وعدم الإنكار عليه من أحد من الصحابة، وأيضًا لو كانت الجمعة واجبة على بعض المكلفين لكانت فرض كفاية وهو خلاف معنى الرخصة، وأما حديث عثمان فإنه لا يخصص قوله صلى الله عليه وسلم.اهـ.

والحق أن حديث الترخيص لترك الجمعة مطلقًا لا تقوى على مقاومة أحاديث وجوب الجمعة.

فيكون فعل ابن الزبير في تركه الجمعة مطلقًا، سائر مع اجتهاده، في فهم رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون قول ابن عباس: إنها السنة، أي في الترخيص في الترك لا مطلق الترك، فهما منه صلى الله عليه وسلم لرخصته صلى الله عليه وسلم كما فهم قوله صلى الله عليه وسلم «صوموا لرؤيته» على أنه لكل بلد رؤية، كما روى ذلك مسلم عنه حيث قال: «هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم» بل الذي عليها الجماهير أن الرؤية واحد للعامة. (ثلاث مسائل فقهية في أحكام العيدين للشيخ أبي حفص الجزائري ص١٧).

القول المختار:

وبعد هذه الجولة والمراجعة، والتعرف على مذاهب العلماء وأقوالهم، يترجح لي قول الشافعية، ولعله رواية عن الإمام أحمد، وإن كانت غير المشهورة، فتكون الرخصة خاصة بمن يأتي إلى العيد من مكان بعيد، كأهل العوالي ونحوهم، وذلك من باب التخفيف عليهم، فإنهم يأتون من مسيرة ساعتين أو نحوها، ويضطرون إلى الرجوع إلى أهليهم، وذلك قد يستغرق ساعتين أو نحوها، فلو لزمهم الرجوع إلى الجمعة لساروا راجعين نحو ساعتين، ثم رجعوا مثلها، فينقضي عيدهم ذلك كله في ذهاب ورجوع، وفي هذا من المشقة والصعوبة ما يخالف تعاليم الإسلام، وما جاء فيه من السهولة والتيسير، ونفي الحرج والضرر عن المسلمين، كما قال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ» (الرأي السديد لابن جبرين ص٣٣).

المسألة الثانية: من سقطت عنه الجمعة فهل يسقط عنه الظهر؟

اختلف العلماء في هذا على قولين:

الأول: أنها تسقط عنه وهو مروي عن ابن الزبير، وعطاء. وكما تقدم في الرواية عن ابن الزبير: أنه لم يخرج حتى العصر. وعن عطاء: فليصل ركعتين حين تصلى صلاة الفطر، ثم هي هي حتى العصر.

قال الشوكاني في النيل (٣٤٧/٣): قوله (لم يزد عليهما حتى صلى العصر) ظاهره أنه لم يصل الظهر، وفيه أن الجمعة إذا سقطت بوجه من الوجوه المسوغة لم يجب على من سقطت عنه أن يصلي الظهر، وإليه ذهب عطاء حكي ذلك عنه في البحر والظاهر أنه يقول بذلك القائلون بأن الجمعة الأصل، وأنت خبير بأن الذي افترضه الله تعالى على عباده في يوم الجمعة هو صلاة الجمعة فإيجاب صلاة الظهر على من تركها لعذر أو لغير عذر محتاج إلى دليل ولا دليل يصلح للتمسك به على ذلك فيما أعلم ا.هـ.

الثاني: وهو الصحيح أنها لا تسقط بحال من الأحوال، لأن الصلاة الركن الوحيد الذي لا يسقط عن المسلم حتى في حال المرض فكيف في حال الصحة، ولا يسقط في حال الخوف فكيف في حال الأمن.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (٢٧٦/١٠) بعد أن ساق أثر ابن الزبير: وهذا يحتمل أن يكون صلى الظهر ابن الزبير في بيته وأن الرخصة وردت في ترك الاجتماعين لما في ذلك من المشقة لا أن الظهر تسقط أ.هـ.

وقال الإمام الصنعاني في سبل السلام (١٠٧/٢) بعد أن ساق مذهب ابن الزبير المتقدم: قلت: ولا يخفى أن عطاء أخبر أنه لم يخرج ابن الزبير لصلاة الجمعة وليس ذلك بنص قاطع أنه لم يصل الظهر في منزله، فالجزم بأن مذهب ابن الزبير سقوط صلاة الظهر في يوم الجمعة يكون عيدًا على من صلى صلاة العيد لهذه الرواية غير صحيح؛ لاحتمال أنه صلى الظهر في منزله، بل في قول عطاء: أنهم صلوا وحدانا - أي الظهر - ما يشعر بأنه لا قائل بسقوطه، ولا يقال: أن مراده صلوا الجمعة وحدانًا، فإنها لا تصح إلا جماعة إجماعًا. ثم القول بأن الأصل في يوم الجمعة صلاة الجمعة والظهر بدل عنها قول مرجوح بل الظهر هو الفرض الأصلي المفروض ليلة الإسراء والجمعة متأخر فرضها، ثم إذا فاتت وجب الظهر إجماعًا فهي البدل عنه وقد حققناه في رسالة مستقلة. اهـ.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

سلام عليك يا رمضان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

إعداد/ الشيخ/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس
إمام المسجد الحرام



فيا عباد الله: اتقوا الله -تبارك وتعالى- واشكروه على ما منَّ به عليكم من التوفيق للصيام والقيام وحلول عيد الفطر المبارك، أعاده الله على أمة الإسلام بالخير واليمن والسرور، والبركات والرضا والحبور.

في وداع رمضان:

أيها المسلمون!! بالأمس القريب ودَّعت الأمة الإسلامية شهرًا عظيمًا، وموسمًا كريمًا، تحزن لفراقه القلوب المؤمنة، ألا وهو شهر رمضان المبارك، فقد قُوِّضت خيامه، وتصرَّمت أيامه، وقد كنَّا بالأمس القريب نتلقَّى التهاني بقدومه ونسأل الله بلوغه، واليوم نتلقَّى التعازيَ برحيله ونسأل الله قبولَه، بالأمس نترقَّبه بكلِّ فرح وخشوع، واليوم نودِّعه بالأسى والدموع، وتلك سنَّة الله في خلقه، أيامٌ تنقضي وأعوام تنتهي، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

مضى هذا الشهر الكريم وقد أحسن فيه أناسٌ وأساء آخرون، وهو شاهد لنا أو علينا، شاهدٌ للمشمِّر بصيامه وقيامه، وعلى المقصر بغفلته وإعراضه، ولا ندري -يا عباد الله- هل سندركه مرةً أخرى أم يحول بيننا وبينه هادم اللذات ومفرِّق الجماعات؟! فسلامُ الله على شهر الصيام والقيام، لقد مرَّ كلمحة برقٍ أو غمضة عين، كان مضمارًا يتنافس فيه المتنافسون، وميدانًا يتسابق فيه المتسابقون، فكم من أكفٍّ ضارعة رفعت، ودموع ساخنة ذُرفت، وعبراتٍ حرَّاءَ قد سُكبت، وحُقَّ لها ذلك في موسم المتاجَرة مع الله، موسم الرحمة والمغفرة والعتق من النار.

- معاشر المسلمين!! لقد مرَّ بنا هذا الشهر المبارك كطيف خيال، مرَّ بخيراته وبركاته، مضى من أعمارنا وهو شاهد لنا أو علينا بما أودعناه فيه، فليفتحْ كلُّ واحدٍ منا صفحة المحاسبة لنفسه: ماذا عمل فيه؟! ماذا استفاد منه؟! ما أثره في النفوس؟! وما ثمراته في الواقع؟! وما مدى تأثيره على العمل والسلوك والأخلاق؟!

الأخذ بأسباب القبول بعد رمضان:

إن السؤال المطروح الآن بإلحاح: هل أخذنا بأسباب القبول بعد رمضان وعزمنا على مواصلة الأعمال الصالحة؟! أم أنَّ واقع كثير من الناس على خلاف ذلك؟! هل تأسَّينا بالسلف الصالح -رحمهم الله- الذين توجل قلوبهم وتحزن نفوسهم عندما ينتهي رمضان لأنهم يخافون أن لا يُتقبَّل منهم عملهم؟! لذا فقد كانوا يكثرون الدعاءَ بعد رمضان بالقبول.

ذكر الحافظ ابن رجب -رحمه الله- عن معلَّى بن الفضل أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم، كما كانوا -رحمهم الله- يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمُّون بعد ذلك بقبوله ويخافون من ردِّه، سألت عائشة -رضي الله عنها- الصديقة بنت الصديق رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (المؤمنون:٦٠): أهُم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر؟!

قال: "لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصلّون ويصومون ويتصدّقون ويخافون أن لا يُتقبّل منهم".

ويقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "كونوا لقبول العمل أشدّ اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا إلى قول الله -عز وجل-: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة:٢٧)؟!، وعن فضالة بن عبيد قال: "لو أني أعلم أن الله تقبّل مني مثقال حبة خردل أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)".

وقال عطاء: "الحذرُ الاتقاء على العمل أن لا يكون لله". وقال ابن دينار: "الخوفُ على العمل أن لا يُتقبّل أشدُّ من العمل".

الاستقامة في سائر الشهور:

إخوةَ الإيمان!! وماذا بعد شهر رمضان؟! ماذا عن آثار الصيام التي عملها في نفوس الصائمين؟! لننظر في حالنا، ولنتأمّل في واقع أنفسنا ومجتمعاتنا وأمتنا، ولنقارن بين حالنا قبل حلول شهر رمضان وحالنا بعده، هل ملأت التقوى قلوبنا؟! هل صلحت أعمالنا؟! هل تحسّنت أخلاقنا؟! هل استقام سلوكنا؟! هل اجتمعت كلمتنا وتوحّدت صفوفنا ضدّ أعدائنا وزالت الضغائن والأحقاد من نفوسنا؟! هل تلاشت المنكراتُ والمحرمات من أسرنا ومجتمعاتنا؟!

أيها المسلمون!! يا من استجبتم لربكم في رمضان، استجيبوا له في سائر الأيام: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) (الشورى:٤٧)، أما آن أن تخشع لذكر الله قلوبنا، وتتوحّد على الصراط المستقيم دروبنا؟!

أيها الإخوة في الله!! لقد جاءت النصوص الشرعية بالأمر بعبادة الله والاستقامة على شرعه عامةً في كل زمان ومكان، ومطلقةً في كل وقت وآن، وليست مخصّصة بمرحلة من العمر، أو مقيّدة بفترة من الدهر، بل ليس لها غاية إلا الموت، يقول الحسن البصري -رحمه الله-: "لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت". وقرأ قوله سبحانه: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحجر:٩٩)، ولما سئل بشر الحافي -رحمه الله- عن أناس يتعبّدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضان تركوا قال: "بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان".

إخوةَ العقيدة!! إنه إن ودّعت الأمة الإسلامية شهرَ رمضان المبارك بعد الإقبال على الله والإكثار من الأعمال الصالحة، فينبغي أن لا يودّع المسلمون صالحَ العمل بعد رمضان، بل يجب أن تبقى آثار الصيام شعارًا متمثّلاً في حياة الفرد والأمة، وما أعطاه الصيام من دروس في الصبر والتضحية والإذعان لأمر الله، والوحدة والتضامن والألفة والمودة بين أفراد هذه الأمة، يجب أن يستمرَّ عليه المسلمون، وتُرى متجسّدةً في حياتهم العملية بعد رمضان، وما تدنّى واقع الأمة وأصيب المسلمون بالوهن في أنفسهم والضعف أمامَ أعدائهم إلا لما تخلّوا عن أعزّ مقوّمات نصرهم وسيادتهم، وهو الدين الإسلامي الحق، ولما أساء بعضُ أبناء الإسلام فهمَه، فجعلوا للطاعة وقتًا وللمعصية أوقاتًا، وللخير والإقبال زمنًا وللشر والإدبار أزمانًا، عند ذلك لم تعمل مناسباتُ الخير والرحمة ومواسمُ البر والمغفرة عملَها في قلوب كثير من الناس، ولم تؤثّر في سلوكهم وأخلاقهم، ولم تُجد في حلّ مشكلاتهم وقضاياهم إلا من رحم الله.



المداومة على الطاعة:

أيها الإخوة المسلمون!! إن من شكر الله -عز وجل- على نعمة توفيقه للصيام والقيام أن يستمرَّ المسلم على طاعة الله -عز وجل- في حياته كلها، فالإله الذي يُصام له ويُعبد في رمضان هو الإله في جميع الأزمان، ومن علامة قبول الحسنة الحسنةُ بعدها، وإن من كفر النعمة وأمارات ردّ العمل العودةَ إلى المعاصي بعد الطاعة، يقول كعب: "من صام رمضان وهو يحدّث نفسه أنه إذا خرج رمضانُ عصى ربّه



فصيامُه عليه مردود، وباب التوفيق في وجهه مسدود".

وإن الناظر في حياة كثيرٍ من المسلمين اليومَ في رمضان وبعد رمضان يأسفُ أشدَّ الأسف لما عليه بعضُ الناس (هداهم الله) بعد شهر الصيام من هجر المساجد، وتركِ الجماعات، والتساهلِ في الصلوات، واعتزالِ الطاعات، من قراءة القرآن والذكر والدعاء، والبذل والإحسان والصدقة، والإقبال على أنواع المعاصي والمنكرات، واستمراء الفواحش والمحرمات، وما ذاك - أيها الإخوة في الله - إلا من قلةِ البصيرة في الدين، وسوء الفهم لشعائر الإسلام، وما إضاعةُ الصلوات واتباع الشهوات والإغراق في الملذات والعكوف على المحرَّمات عبرَ السهرات والسمرات والخروج إلى الشواطئ والمنتزهات ومتابعة الأفلام وعفن القنوات والفضائيات إلا دليلٌ على ضعف الإيمان في نفوس فئام من الناس، فاتقوا الله عباد الله، ولا تهدموا ما بنيتم من الأعمال الصالحة في شهر رمضان، اتقوا الله يا من عزمتم على المعاصي بعد رمضان، فربُّ الشهور واحد، وهو على أعمالكم رقيب شاهد، (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١).

واعلموا أن الموت يأتي بغتة، وما مرور الأعوام بعد الأعوام وتكرار الليالي والأيام إلا مذكر بتصرّم الأعمار وانتهاء الآجال والقدوم على الكبير المتعال.

أيها المسلمون!! أنسيتم أنَّ الله افترض عليكم طاعتَه وألزمكم عبادتَه في كل وقت؟! ألا فليعلم ذلك جيدًا من ودّعوا الأعمال الصالحة بوداع رمضان، أفأمن هؤلاء أن ينزل بهم الموت ساعةً من ليل أو نهار وهم على حال لا ترضي العزيزَ الجبار، ولا تنفعهم يومَ العرض على الواحد القهار؟! (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) (النحل:٩٢)، نعوذ بالله من الحور بعد الكور. أما آن لنا -أمة الإسلام- أن ندرك أن ما أصابنا من ضعف وهوان إنما هو من عند أنفسنا، ونتيجة لعدم استفادتنا من مواسم البر والإحسان؛ إذ لم تعمل هذه المواسم عملَها في القلوب فتحييها بعد موات، وعملَها في الأمة فتجمعها بعد فرقة وشتات، ولم تجد في حلِّ ما استعصى من مشكلات، وعلاج ما استفحل من معضلات، فإنَّ ذلك دليل على عدم الوعي وقصور الفهم للإسلام.

أما إذا استقامت الأمة على العبادة، ولم تهدم ما بنته في مواسم الخير، ولم يستسلم أفرادها وأبناؤها لنزغات الشيطان وأعوانه ولم يبطلوا ما عملوا في رمضان، فإن الأمة بإذن الله تمسك بصمام الأمان وحبل النجاة، لتصلَ إلى شاطئ الأمان وبرَّ السلام بإذن الله.

العيد.. حِكَم وأسرار:

ولنتذكر -يا أمة الإسلام- ونحن نعيش فرحة العيد بالأمن والأمان إخوانًا لنا في العقيدة يحلّ بهم العيد وهم يعانون الحروب الطاحنة والمآسي المستمرة، بأيِّ حالٍ يعيش المسلمون في الأرض المباركة فلسطين -أولى القبلتين ومسرى سيد الثقلين- هذه الأيام ويستقبلون العيد؟! وكذا إخوانكم في بقاع أخرى، فتذكروا كيف يعيشون العيد مع حياة القتل والتشريد، والملاجئ والتهجير والتهديد، فلا تنسوهم -رحمكم الله- في دعمكم ودعائكم.

ونداءٌ ملؤه الحنان والإشفاق إلى الذين عزموا على العودة إلى المعاصي بعد رمضان أن يتقوا الله سبحانه، فالعمر قصير، والآجال معدودة، والأنفاس محدودة، كفى مخادعةً للرحمن، وانزلاقًا في طريق الشيطان، وعبثًا بشعائر الإسلام، إلى متى الاسترسال في الغفلة؟! فلتعلنوها -عباد الله- توبةً صادقة نصوحًا، لا رجعة بعدها إلى الذنوب والمعاصي، فهذا -والله- هو الشكر الحقيقيُّ لنعمة الصيام.

وهمسةٌ في آذان شباب الإسلام أن يتقوا الله -تبارك وتعالى- ويُقبلوا عليه، ويحفظوا أوقاتهم بعد رمضان، ويشغلوها بطاعة الله، فلا يغتروا بعمل المفتونين بمعصية الله، وليحذروا ما يسيء إلى دينهم وقيَمهم، ويضعف الإيمان في نفوسهم،

ويئدُ الأخلاقَ في قلوبهم وأعمالهم وواقعهم، مما يثير الغرائز، ويهيّج المشاعر، مما يُرى ويُسمع ويقرأ عبر وسائل الإعلام من معصية الله -عز وجل-، وعليهم الحذر من قرناء السوء.

وعلى المرأة المسلمة أن تتقيَ الله -عز وجل-، وتستمرَّ في طاعة ربِّها بعد رمضان حجابًا وعفافًا وحشمة، وأن تحذرَ كل الحذر من دعاة الضلال والفتنة.

وعلى أرباب الأسر وأولياء الأمور أن يتقوا الله -عز وجل- في مسؤولياتهم، ويحافظوا على أماناتهم بمتابعتهم وتربيتهم والعناية بهم، تحقيقًا لقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (التحريم:٦).

اتقوا الله -عباد الله- حقَّ التقوى، وراقبوه في السّر والنجوى، واشكروه -جل وعلا- أن هداكم للإسلام، ووفَّقكم للصيام والقيام، وعلى ما تنعمون به في هذه الأيام من أيام عيد الفطر المبارك.

واعلموا -رحمكم الله- أن السعيد في العيد ليس من لبس الجديد، وإنما السعيد بالعيد من خاف يومَ الوعيد، وسلم من العذاب الشديد.

وتذكَّروا أنَّ العيد في الإسلام له حكم وأسرار، وكم له من مغزًى عميق بتحقيق شكر الله -عز وجل- قولاً وعملاً، فتذكروا الأطفالَ اليتامى، والنساءَ الأيامى، والمعوزين والأراملَ والمساكين، وليتحرَّك فيكم شعور الأخوَّة الإسلامية، والتزموا طاعةَ ربكم في هذه الأيام، وتحذروا من جعلها أيامَ غفلة واسترسال في اللهو والمعاصي وتوسعٍ في المباحات، ولتكن فرصةً لمحاسبة النفوس، وصفاء القلوب، وتجريدها من الضغائن والأحقاد، والقيام بعمل البر وصلة الأرحام والمودة بين المسلمين.

مرَّ وُهَيب بن الورد -رحمه الله- على أناس يلهُون ويلعبون أيامَ العيد فقال لهم: "عجبًا لكم! إن كان الله قد تقبَّل صيامَكم فما هذا عملُ الشاكرين، وإن كان الله لم يتقبَّله منكم فما هذا عمل الخائفين".

واعلموا -رحمكم الله- أنَّ رسولَكم -صلى الله عليه وسلم- ندبكم لصيام ستةِ أيامٍ من شوال، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من صام رمضان وأتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر".

فلا تفوِّتوا -رحمكم الله- على أنفسكم هذه الفضيلة العظيمة، فإنَّ أحدنا لا يدري أيدركُ رمضان مرة أخرى أو لا يدركه، وكلّنا بحاجة إلى سدِّ ما نقص من صيامنا بصيام التطوع، ويجوز لمن أراد صيامَ ستة أيام من شوال أن يتابعها أو يفرقها في الشهر، ولا بأس في ذلك كله بحمد الله.

ألا فحاسبوا أنفسكم -رحمكم الله- بعد صيام شهركم، إذا كان أربابُ الأموال وأصحاب التجارات الدنيوية ينظرون في أرباحهم بعد مواسم التجارة، فأصحابُ المتاجرة مع الله أولى وأحرى أن ينظروا في أرباحهم، فانظروا ماذا قدمتم لأنفسكم في رمضان، واستمرّوا عليه بعده، وضاعفوه، وتقرَّبوا إلى الله بأنواع الطاعات، فتلك -والله- هي التجارة الرابحة في أسواق الآخرة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ (محمد:٣٣).

ألا وصلوا وسلموا -رحمكم الله- على الهادي البشير والسراج المنير كما أمركم بذلك اللطيف الخبير فقال -عز من قال-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٦).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين...



باب العقيدة

ظهور البدع في العقائد.. دراسة بدعة التشيع

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

بدأنا في العدد الماضي بذكر مخاطر البدع العقدية، وذكرنا بدعة الخوارج، وتتمة لهذا الموضوع نعرض لأهم أصول بعض الفرق المبتدعة الأخرى، ونبدأ في هذا العدد بإيضاح بدعة التشيع ، ونسأل الله الثبات على الحق، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ د. عبد الله شاكر

بدعة التشيع:

(أ) التعريف بالشيعة:

ظهروا بمذهبهم في آخر عصر عثمان رضي الله عنه ونَمَا وترعرع في عهد علي رضي الله عنه ولما لعليٍّ من المكانة السامية في الإسلام أخذوا ينشرون نحلتهم بين الناس؛ ولما جاء العصر الأموي، ووقعت بعض المظالم على العلويين آل البيت، ورأى الناس في علي وأولاده أنهم لقوا بعض الظلم؛ انتشر المذهب الشيعي بسبب ذلك وكثرت أنصاره.

وفرقة الشيعة تنقسم إلى غالية وغير غالية، فغير الغالية منهم فضلوا عليًّا على بقية الصحابة من غير تكفير لأحد، ولم يرفعوه إلى مرتبة النبوة؛ أما الشيعة الغالية فلم يكتفوا بتفضيله على الخلفاء وادعاء عصمته؛ بل رفعوه إلى مرتبة النبوة، ومنهم مَن ألَّهه، ومنهم من زعم حلول الإله فيه، ومنهم من قال: كل روح إمام حلت فيه الألوهية تنتقل إلى الإمام الذي يليه.

وقد كان التشيع بهذه الأفكار المنحرفة مباءة خصبة لظهور الرجعة والحلول، والتناسخ والتجسيد، عدم خَتْم النبوة.

والحق الذي لا مرية فيه أن التشيع كان ملجأ لجأ إليه كل مَن يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ومجوسية... وغيرهم، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم.

> الحق الذي لا مرية فيه أن التشيع كان ملجأ لجأ إليه كل مَن يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد كانوا يتخذون حب آل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم.

(ب) وأهم مبادئهم أربعة:

الأول: الإمامة ركن الدين.

الثاني: وجوب تعيين الإمام بالنص.

الثالث: عليٌّ أفضل الخلق في الدارين.

الرابع: الإمام يعلم الظاهر والباطن.

المبدأ الأول:

ذكروا فيه: بأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي إغفالها؛ بل يجب عليه تعيينه لهم، ويكون الإمام عندهم معصومًا من الكبائر والصغائر.

المبدأ الثاني:

قالوا فيه: بأن النبي صلى الله عليه وسلم عين عليًا بنصوص لا تحتمل التأويل، وكانوا ينقلون هذه النصوص، ومن هنا نشأت فكرة الوصية عندهم، ولقب علي بالوصي؛ فهو إمام بالنص لا بالانتخاب، وقد أوصى علي لمن بعده، وهكذا كل إمام كان يوصي لمن يأتي بعده.

المبدأ الثالث:

قالوا فيه: إن عليًا هو أفضل الخلق في الدنيا والآخرة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فمن عاداه أو حاربه؛ فهو عدو الله إلا إذا ثبتت توبته ومات على حبه.

المبدأ الرابع:

الإمام عندهم يعلم الظاهر والباطن؛ ولذلك خرجت منهم فكرة المهدي المنتظر، ومهدي الرافضة ليس هو المهدي الذي يعتقده أهل السنة والجماعة، وهو الذي يكون في آخر الزمان؛ فمهدي الرافضة يزعمون أنه إمام غائب.

ومن مبادئهم أيضًا القول بالتقية والرجعة والوصية وغير ذلك.

(جـ) شرح أهم أصولهم البدعية:

هؤلاء الشيعة الرافضة لهم أصول بدعية كثيرة. فمن مبادئهم البدعية عقيدتهم في الإمامة، وهم يخالفون فيها أهل السنة والجماعة.

أولًا: تنصيب الإمام:

أهل السنة والجماعة: يرون أن الإمامة قضية مصلحية تناط لاختيار الأمة من أهل الحل والعقد، وينتصب الإمام بنصبهم، كما أنها تصح بعهد من الإمام السابق إذا أراد أن يختار للأمة رجلا حسنًا ولم يقصد بذلك هوًى؛ ولهذا فأهل السنة يرون وجوب نصب إمام يقيم شعائر الدين، وينصف المظلومين من الظالمين.

يقول الماوردي رحمه الله: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع».

ويقول أبو المعالي الجويني رحمه الله: «اتفق المنتمون إلى الإسلام على تفرق المذاهب وتباين المطالب على ثبوت الإمامة».

هذا موقف المسلمين عمومًا من قضية الإمام؛ وأنها واجبة ليسوس الإمام الرعية، وكي يقيم العدل ويدفع الظلم... إلى غير ذلك من متطلبات الإمامة، والتي لا يمكن تحققها إلا بوجود إمام.

ا الشيعة الرافضة لهم أصول بدعية كثيرة. فمن مبادئهم البدعية عقيدتهم في الإمامة، وهم يخالفون فيها أهل السنة والجماعة.

أما أَمْرُ الإمامة عند الشيعة الرافضة «الاثنا عشرية» فله شأن آخر ومعتقدٌ جديد يخالف عقائد المسلمين؛ فهي عندهم أصل من أصول الدين وركن من أركانه، ولا يتم إيمان المرء إلا بهذا الاعتقاد.

يقول الشيعي الرافضي محمد رضا المظفر: «نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا باعتقادها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا؛ بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة».

وقال الرافضي ابن المطهر الحلي في مقدمة كتابه: (منهاج الكرامة): أما بعد؛ فهذه رسالة شريفة، ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين: وهي مسألة الإمامة التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان». تأمل العبارة عن الإمامة في قوله: «وهي أحد أركان الإيمان». وهذا في الحقيقة غلو شديد في مسألة الإمامة.

ثانيًا: عصمة الأئمة عند الشيعة:

وهي مسألة مهمة جدًا تابعة لمعتقدهم في الإمامة:

عصمة الأئمة من أهم الأمور الدينية عند الشيعة، ولها صلة وثيقة بعقيدتهم، وقد اتفقوا على عصمتهم، وأنه لا تقع المعصية منهم؛ لأنهم جميعًا حجج الله، ولذلك فهم معصومون من الزلل، بل إن الأئمة عند الشيعة الرافضة ليسوا معصومين من الكبائر والصغائر فقط؛ بل من كل شيء حتى السهو والنسيان.

يقول ابن أبي الحديد: لا تجوز عليهم الكبائر ولا الصغائر لا عمدًا ولا خطأً ولا سهوًا، ولا على سبيل التأويل والشبهة، وذكر أن مَثلهم في ذلك كمثل الأنبياء، ويقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سنة الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا.

وقد أجمع السابقون منهم واللاحقون على هذه العقيدة الباطلة، يقول الخميني: هذا المنصب لا يُتصور فيه السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين.

عصمة الأئمة من أهم الأمور الدينية عند الشيعة، ولها صلة وثيقة بعقيدتهم، وقد اتفقوا على عصمتهم، وأنه لا تقع المعصية منهم.

ثالثًا: عقيدة الشيعة الرافضة في القرآن الكريم:

أجمع المسلمون على أن كتاب الله عز وجل محفوظ بحفظ الله له؛ قال تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (الحجر: ٩)، وقال رب العالمين عن كتابه: « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (فصلت: ٤٢)، ومن اعتقد - بعد هذا - أن في القرآن نقصًا أو تحريفًا فهو مرتد؛ لتكذيبه لنصوص القرآن الكريم.

وقد قال بعض الشيعة بهذا القول وأقروه، وقد نسب الأشعري ذلك لطائفة منهم، وذكر أنهم قالوا: إن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون غُيِّر منه شيء على عما كان عليه.

كما أشار البغدادي - رحمه الله - إلى أن من الرافضة من زعم أن الصحابة غيَّروا بعض القرآن وحرفوا بعضه، واعتبر البغدادي ذلك من موجبات الحكم بكفرهم وخروجهم عن الإسلام.

أما ابن حزم - رحمه الله تبارك وتعالى - فقد نسب القول بالتحريف إلى الإمامية كلها، ولم يستثنِ من أعلام الإمامية إلا ثلاثة نَجَوْا من الوقوع في هذه الهاوية.

يقول أحد مشايخهم المدعو محمد بن محمد العكبري الملقب بالمفيد: إن الأخبار قد جاءت مستفيضةً عن أئمة الهُدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم باختلاف القرآن، وما أحدَثَ بعضُ الطاعنين فيه من الحذف والنقصان!!

ويريد بقوله: «وما أحدث بعض الطاعنين فيه»: صحابة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

كما أورد الكليني في كتابه (الكافي) روايات في تحريف القرآن - وهو من الكتب المعتبرة عندهم - ولذلك قال الفيض الكاشاني عنه: إنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن الكريم.

وفي القرن الثالث عشر الهجري ألَّف شيخهم حسين النوري الطبرسي - وهو يحظى بالتعظيم عندهم - مؤلفًا كبيرًا جمَع فيه أقوال المتقدمين منهم في تحريف القرآن الكريم وسماه: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الاستنساخ البشري.. وصناعة الأطفال

الحلقة الثالثة

رؤية الاستنساخ البشري من الناحية الفقهية

إعداد/ د. محمد محمود العطار













الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

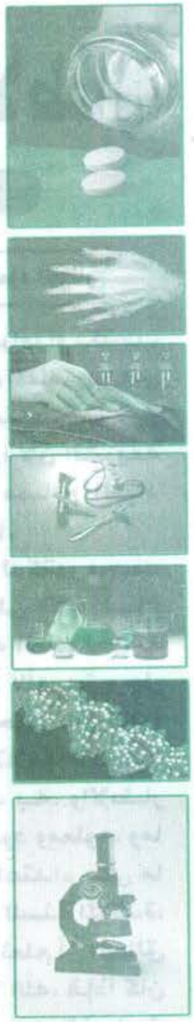
فلا شك أن الشريعة الإسلامية لا تحجر على فكر، ولا تمنع صاحب رأي، ولا تقيد التقدم في العلوم الإنسانية؛ ما دام هذا الفكر وهذا العلم في مصلحة الإنسان، ولذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحجر على ما يظهر من علم، أو يقصره على فئة أو عصر معين حين قال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم». (أخرجه مسلم: ٢٣٦٣).

ومنذ الإعلان عن الاستنساخ كان الموقف الديني والأخلاقي والقانوني موحدًا بطول العالم وعرضه، وهو تحريم تطبيق تقنيات الاستنساخ على الإنسان وتجريمها، مع جواز الاستفادة منها فيما يتصل بالحيوان والنبات، واتفقت كل المؤسسات والمجامع الفقهية على الفتوى بالتحريم القاطع للاستنساخ البشري، ويناظرها في العالم المسيحي بيانات من الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية تحمل المعنى نفسه، وتسير في هذا الاتجاه.

وكان لا بد لفقهاء الدين من كلمة فاصلة وواضحة، حيث يذهب بعض الفقهاء إلى أن الاستنساخ كعلم ليس حرامًا لذاته، فهو يعد استكشافًا لسنة من سنن الخلق، ولكن إذا أدى إلى إكثار المجرمين أو إلى ضياع الأنساب أو إلى انهيار مؤسسة الأسرة ونظام الزواج، أو إلى حرمان البشر من الأسلوب الطبيعي للاستخلاف إلى أمور أخرى قد تؤدي إلى الإساءة إلى المجتمع فيصبح حرامًا أو يكتسب الحرمة، كما ذهب عامة الفقهاء المعاصرين إلى جواز الاستفادة من تقنية الاستنساخ في غير البشر مما يعود عليهم بالنفع؛ لأن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل مصالح العباد وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها.

وقد علق فضيلة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله على الاستنساخ قائلاً: «إن كل ما يأتي به العلم لخدمة الإنسانية في حدود ما أحله الله عز وجل فهو حلال، أطفال الأنابيب حلال إذا كانوا من الزوجين، ولم يكن فيها اختلاط الأنساب، وكل تقدم علمي نحن نرحب به، والإطار الشرعي للحلال والحرام محدود ومعلوم، وما دام التقدم العلمي ليس فيه اعتداء على ما أمرنا به الله تعالى أو مخالفة للسنة المؤكدة، فلماذا نعارضه؟ ولا بد من أن نعلم أن الخالق هو الله وليس هناك خالق إلا الله، فإذا كان في اكتشافات العلماء خروج عن الضوابط الشرعية والأخلاقية، فنحن نعارضه».

كما أكد فضيلته أن الاستنساخ البشري حرام شرعًا، ووصفه بأنه يُعرِّض الإنسان الذي كرمه الله لأن يكون مجالاً للعبث والتجربة وإيجاد أشكال مشوهة وممسوخة، ويقول: إن الإسلام لا يعترف بالإنجاب إلا عندما يكون ناتجًا من علاقة زواج صحيح، فالأصل في الخلق وجود الذكر والأنثى، الأمر الذي يؤكد أن الاستنساخ البشري خروج على الأصل، كما هو خروج على القيم الدينية والأخلاق الصحيحة، والله تعالى يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ» (الحجرات: ١٣)، ويقول عز وجل: «فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦)



«يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ» (الطارق: ٥-٧).

ويؤكد أن الإسلام يشجع العلم النافع ويحرم الضار الذي لا نفع فيه، أو الذي يغلب ضرره على نفعه لحماية البشر من مخاطره.

فكل ما يأتي عن غير طريق الزوجين والطريقة التي أحلها الله فهو حرام؛ لأنه تغيير لخلق الله وعبث بالكيان الإنساني الذي جعله الله خليفة في الأرض، والأمر مردود إلى العلماء والأطباء ليحددوا إن كان هناك عبث أو تغيير في البناء الأساسي والجيني.

ويرى بعض العلماء: أن الاستنساخ في النبات والحيوان لا بأس به، بل قد يكون مطلوبًا؛ لأنه تحسين للسلالة، وألا يكون في ذلك إيذاء أو إضرار بالحيوان ذاته ولو على المدى الطويل، فإن إيذاء هذه المخلوقات حرام في دين الله، كما أن الاستنساخ في عالم الحيوان عند من يرى جوازه وهي: أن يكون في ذلك مصلحة حقيقية للبشر، لا مجرد مصلحة متوهمة لبعض الناس والثاني ألا تكون هناك مفسدة أو مضرة أكبر من هذه المصلحة.

أما الاستنساخ في البشر فممنوع شرعًا؛ لأن الله- تعالى- خلق الحياة على أساس الزوجية، فكل شيء فيه زوج، كما أن في الاستنساخ البشري مفاسد عديدة، وهو تغيير لخلق الله تعالى وذلك إذا كان الاستنساخ لبشر كامل، أما إن كان استنساخا لبعض الأعضاء كالقلب أو ليس إحياء ولا خلقا جديدًا، فهو يأخذ مادة الحياة التي خلقها الله تعالى ويصنع شبيهًا لها.

كما يرى البعض: أن منطق الشرع الإسلامي بنصوصه المطلقة وقواعده الكلية ومقاصده العامة يمنع دخول هذا الاستنساخ في عالم البشر؛ لما يترتب عليه من المفاسد الآتية:

أولاً: أن الله خلق هذا الكون على قاعدة التنويع والاستنساخ يناقض التنوع؛ لأنه يقوم على تخليق نسخة مكررة من الشخص الواحد، وهذا يترتب عليه مفاسد كثيرة في الحياة البشرية والاجتماعية، بعضها ندركه وبعضها لا ندركه إلا حين يعرف الرجل زوجته من غيرها والأخرى نسخة مطابقة لها؟ إن الحياة ستضطرب وتفسد إذا انتفت ظاهرة التنوع واختلاف الألوان التي خلق الله عليها الناس.

ثانياً: ما علاقة المستنسخ بالشخص المستنسخ منه أهو الشخص نفسه بوصفه نسخة مطابقة منه أم هو أب أو أخ أو توأم له؟

ويحذر فضيلة الدكتور نصر فريد واصل- مفتي مصر الأسبق- من أنه وراء عمليات الاستنساخ جماعات صهيونية تخطط لإفساد العالم وتخريبه وتدميره، من خلال العبث بالإنسان وطمس هويته البشرية.

ويقول: إن المخاطر التي يجلبها الاستنساخ على حياة البشرية تدل على حاجة البشرية في هذا العصر- وكل عصر- إلى قيم الإسلام وضوابطه الأخلاقية لمنع دوافع العلم غير المنضبط بالأخلاق والشرائع من تهديد حياة الإنسان، ويضيف: إن طريقة الاستنساخ تخالف منهج الله تعالى في خلق الإنسان، فلو أننا تتبعنا النصوص القرآنية والنصوص الشرعية فسوف نجد أن كل الدلائل تشير إلى منهج معين ومفصل من حيث منشأ خلق الإنسان وتطوره في المنشأ من أول الحياة إلى الممات، مع إغفال ذلك في بقية مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وقال الله عز وجل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا» (النساء: ١).

ويقول سبحانه وتعالى أيضًا: « وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ

مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ » (المؤمنون: ١٢- ١٤).

فالاستنساخ للإنسان يعني استخراج صور عديدة من أصل واحد، كما أنه يفتقد لضوابط الأسرة والبنوة والأخوة، ويهدد الحقوق والواجبات في المجتمع، ويفتح باب جرائم التزوير وانتحال شخصيات الآخرين، فالإنسان ليس وليد مزرعة، مؤكدًا أن استخدام الاستنساخ لعلاج مشكلة العقم محرم؛ لأن العقم نعمة من الله، ويقول تعالى في كتابه الكريم: « وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا » (الشورى: ٥٠)، مشيرًا إلى أن الاستنساخ من الممكن أن يستخدم في خدمة الإنسان عن طريق توفير الأعضاء لمن يحتاجون زراعتها.

ويجزم فضيلته بأن «الاستنساخ البشري» تغيير في منهج الله للإنسان الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض، مع الاحتمال الغالب في اختلاط الأنساب، وضياع معالم البشرية من حيث الجنس والنوع والصفة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، كما يطالب فضيلته بإصدار تشريعات وقوانين تمنع المراكز البحثية العلمية التي يمكنها أن تعمل في هذا المجال من إجراء مثل هذه التجارب التي تؤدي إلى اختلاط الأنساب، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف فتوى أكد فيها أن استنساخ الإنسان حرام، ويجب التصدي له ومنعه بكل الوسائل، وأكد نص الفتوى أن الاستنساخ يعرض الإنسان الذي كرمه الله تعالى لأن يكون مجالًا للعبث والتجربة، وإيجاد أشكال مشوهة وممسوخة.

وشددت الفتوى أن «الإسلام لا يعارض العلم النافع بل يشجعه ويحث عليه ويكرم أهله، أمام العلم الضار الذي لا نفع فيه، أو الذي يغلب ضرره على نفعه، فإن الإسلام يحرمه ليحمي البشر من أضراره، كما أوضحت الفتوى أنه يجب التفريق بين ذلك واستخدام الهندسة الوراثية في النبات والحيوان لإنتاج سلالات ذات قيمة أو ذات نفع للبشر، وكذلك في علاج الأمراض ومحاصرة توارث الأمراض».

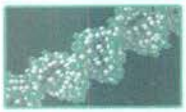














ويطلق فضيلة الدكتور عكرمة صبري، مفتي القدس السابق صيحة تحذير قوية من مخاطر استنساخ الإنسان بكونه أمرًا محرمًا شرعًا، مؤكدًا أن الإنسان مكرم عند الله تعالى على جميع الكائنات، ولا يجوز أن يكون مجالًا للعبث والتجربة.

ويقول: إن استنساخ البشر جريمة ترتكب في حق الإنسان الذي كرمه ربه وفضله على سائر الكائنات، من حيث التلاعب بالإنسان بوصفه حقل تجارب، قال الله تعالى: «وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠» (الإسراء: ٧٠).

والاستنساخ جريمة في حق المجتمع؛ لأنه يجلب أضرارًا اجتماعية وأخلاقية ودينية، كما أنه خروج صارخ على الفطرة، حيث يجب أن يكون الإنجاب نتيجة علاقة شرعية بين رجل وامرأة، فالاستنساخ سيؤدي إلى حدوث خلل اجتماعي ووظيفي في خلق الإنسان.

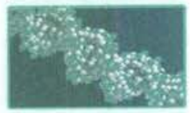
كما نجد أن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره العاشرة بجدة بالمملكة العربية السعودية، خلال الفترة من ٢٣- ٢٨ صفر ١٤١٨هـ الموافق ٢٨ حزيران (يونيو)- ٣ تموز (يوليو) ١٩٩٧م، أصدر قرارًا رقم ٩٤ (١٠/٢) بشأن الاستنساخ البشري قرر ما يلي:

أولاً: تحريم الاستنساخ البشري بأي طريقة تؤدي إلى التكاثر البشري.

ثانيًا: إذا حصل تجاوز للحكم الشرعي المبين






في الفقرة (أولاً) فإن آثار ذلك الحالات تعرض لبيان أحكامها الشرعية.

ثالثًا: تحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحمًا أم بييضة أم حيوانًا منويًا أم خلية جسدية للاستنساخ.

رابعًا: يجوز شرعًا الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالات الجراثيم وسائر الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان في حدود الضوابط الشرعية بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد.

خامسًا: مناشدة الدول الإسلامية إصدار القوانين والأنظمة اللازمة لغلق الأبواب المباشرة وغير المباشرة أمام الجهات المحلية أو الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميدانًا لتجارب الاستنساخ البشري والترويج لها.

سادسًا: المتابعة المشتركة من قبل كل من مجمع الفقه الإسلامي الدولي والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لموضوع الاستنساخ ومستجداته العلمية، وضبط مصطلحاته، وعقد الندوات واللقاءات اللازمة لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة به.

سابعًا: الدعوة إلى تشكيل لجان متخصصة تضم الخبراء وعلماء الشريعة، لوضع الضوابط الخلقية في مجال بحوث علوم الأحياء (البيولوجيا) لاعتمادها في الدول الإسلامية.

ثامنًا: الدعوة إلى إنشاء المعاهد والمؤسسات العلمية التي تقوم بإجراء البحوث في مجال علوم الأحياء (البيولوجيا) والهندسة الوراثية في مجال الاستنساخ البشري ودعمها، وفق الضوابط الشرعية، حتى لا يظل العالم الإسلامي عالة على غيره، وتبعًا في هذا المجال.

تاسعًا: تأصيل التعامل مع المستجدات العلمية بنظرة إسلامية، ودعوة أجهزة الإعلام لاعتماد النظرة الإيمانية في التعامل مع هذه القضايا، وتجنب توظيفها بما يناقض الإسلام، وتوعية الرأي العام للتثبت قبل اتخاذ أي موقف؛ استجابة لقول الله تعالى: « وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » (النساء: ٨٣).اهـ.

وما زال النقاش محتدمًا والخلاف قائمًا حول قضية الاستنساخ البشري التي يميل بعض العلماء والمفكرين نحو إباحته، فيرى المدافعون عن الاستنساخ البشري أن كل ما ينفع الناس جائز ضمن ضوابط أخلاقية وقانونية؛ لأنه لا يجوز عقلاً الوقوف بوجه التقدم العلمي بحجة الحلال والحرام، وأن الاستنساخ الذي أجيز في بعض الدول المتقدمة، كبريطانيا خطوة شجاعة ما دامت لمصلحة الإنسان.

على حين يتشدد بعضهم الآخر ويقف ضد ذلك، فقد دعا العلماء إلى احترام كرامة الإنسان، وحرم فقهاء الشريعة الإسلامية الاستنساخ بكل أنواعه وعدوه جريمة منكرة لا تقره الأديان.

كما أن فقهاء الشريعة الإسلامية يحرمون تلقيح أية بييضة بغير خلايا زوجها، وعدوا ذلك عملاً حيوانيًا ونباتيًا يخرج عن المستوى الإنساني، وإثمًا كبيرًا، وانزلاقًا إلى العار.

إن الإسلام هو دين العلم، وعندما نجح المسلمون في توظيفه، أقاموا حضارة، هي أطول الحضارات عمرًا في التاريخ، كما يحث الإسلام على التقدم العلمي، ويحض على الاستفادة من كل اكتشاف نافع يفيد البشرية.

ويجب على العلماء أن يتوجهوا بالعلم إلى ما فيه سعادة البشرية وكرامتها وعمارتها لا إلى ما فيه الهدم والدمار، أو ضياع الكرامة الإنسانية.

ونرجو الله سبحانه وتعالى ألا يؤدي غرور العلماء إلى فناء الإنسان من على ظهر هذه الأرض، فالإنسان هو الذي اخترع القنبلة الذرية والنووية، ونتمنى ألا يكون الاستنساخ هو التقدم نحو الفناء الكامل للأرض.

والحمد لله رب العالمين.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

قرائن اللغة والشرع على إثبات صفة (النَّفْس) لله تعالى دون ما تأويل

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد،

فممن أثبت صفة النَّفْس - بتشديد النون وتسكين الفاء - صراحة، الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠) حيث ذكرها في كتابه (الفقه الأكبر) فقال: «وله تعالى يد ووجه ونفس بلا كيف، كما ذكره الله في القرآن» إلى آخر ما سيأتي تفصيله، والإمام البخاري (ت ٢٥٦) حيث عنون لها في كتاب التوحيد ١٣/٣٩٥ تحت (باب قول الله تعالى: «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»، وقوله جل ذكره: «تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ»)، والإمام الحافظ ابن خزيمة (ت ٣١١) في (كتاب التوحيد) ص ٣٣، وذلك تحت باب: (ذكر البيان من خبر النبي في إثبات النفس لله على مثل موافقة التنزيل الذي بين الدفتين مسطور، وفي المحاريب والمساجد والبيوت والسكك مقروء)، والإمام الحافظ ابن منده (ت ٣٩٥) في (كتاب التوحيد) ٣/٢٦، ٢٧ تحت عنوان: (بيان ما تقدم من صفات الله عز وجل من ذكر النفس)، والإمام الحافظ البيهقي (ت ٤٥٨) في (الأسماء والصفات) ص ٤٠٢ تحت باب: (ما ذُكر في النفس).

قرائن الشرع في إثبات صفة (النفس) له تعالى وأوجه دلالتها:

وكان مما استدلوا به على إثباتها، قولُ الله تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (آل عمران-٢٨)، وقوله: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) (المائدة/١١٦)، وقوله: (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام/١٢)، وقوله: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام/٥٤)، وقوله: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه/٤١)، وقولُه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من طريق ابن مسعود: (لا أحدٌ أغيرُ من الله، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدٌ أحبُّ إليه المدحةُ من الله، فلذلك مدح نفسه)، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة: (لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه وهو وَضْعٌ «أي: موضوع» عنده على العرش - إن رحمتي تغلب غضبي).

وقوله فيما أخرجاه: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم.. الحديث)، وقوله - كما في البخاري ٤٧٣٦ من حديث أبي هريرة -: (التقى آدم موسى عليهما السلام، فقال له موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم لموسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته واصطنعك لنفسه وأنزل عليك التوراة؟، قال: نعم، قال: فهل وجدته كتبه لي قبل أن يخلقني؟، قال: نعم، قال: فحج آدم موسى).

وقوله صلى الله عليه وسلم لجويرية زوجه والحديث متفق عليه: (لقد قلت منذ وقفتُ عليك كلمات ثلاث مرات، هي أكثر أو أرجح أو أوزن مما كنت فيه منذ الغداة: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه.. الحديث)، وفي رواية لمسلم والترمذي: (سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته).

وقوله كما في مسلم ٤٨٦: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)، وقوله كما في الحديث القدسي وهو بمسلم وغيره: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.. الحديث).

وقوله - كما في مسند أحمد ٧٢/٢ وصححه الألباني في ظلال الجنة - من طريق ابن عمر قال: إن رسول الله قرأ مرة على منبره (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)(الزمر/٦٧)، فجعل يقول: (كذا يمجد نفسه: أنا الجبار، أنا العزيز المتكبر)، فرجف به المنبر حتى قلنا: (ليخرن به الأرض)، وقوله كما في حديث أبي هريرة فيما أخرجه الترمذي وأحمد: (يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلعُ عليهم رب العالمين فيقول: يتبع كل إنسان ما كان يعبد، ويبقى المسلمون ويطلع عليهم ويعرفهم بنفسه، ثم يقول: أنا ربكم فاتبعون).

ففي النصوص السالفة الذكر، بيان لما أخبر تعالى عن نفسه وأخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم من صحة ووجوب وصفه تعالى بصفة (النفس)، وأن المُجاوز وصفهما بوصف يوجب المماثلة والتشبيه، مخطئ ومرتكب لجنايتي التجسيم والتأويل، لكون نفسه تعالى قديم غير فانٍ بفناء الخلق، ولكون التمثيل والتشبيه لا يكون إلا بالتحقيق ولا يكون باتفاق الأسماء، وإنما وافق وصفُ (النفس) وصفَ نفس الإنسان - الذي سماه الله في الحديث القدسي (نفساً منفوسة) - في مجرد الاسم، وكذلك سائر الأسماء التي سمى بها خلقه، إنما هي مستعارة لخلقه منحها عباده للمعرفة، مما يؤكد أنه لا يلزم من صفات الله ما يلزم من صفات المخلوق، كذا أفاده ابن مندة في (كتاب التوحيد) ٧/٣ وصاحب كتاب (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) ص ٣٧٦.

أئمة أهل السنة على إثبات الصفة على ظاهرها دون ما تأويل:

وهو في معنى ما فاه به الإمام أبو حنيفة، فقد قال عقب ما سبق أن ذكرناه له: «ما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر: الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف»، وفي تعليقه على هذا يقول ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص ١٦١: «وهذا الذي قاله الإمام، ثابت بالأدلة القاطعة»، وعدّد ضمنها قوله تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (آل عمران٢٨)، وقوله: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام/٥٤)، وقوله: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) (المائدة/١١٦)، وقوله: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه/٤١).. وما فاه به إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (ت ٢٤١، فقد «ذهب - فيما جمعه له أبو الفضل عبد الواحد التميمي (ت ٤١٠ في كتابه (اعتقاد الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل) ص ٤٨، ٤٩ - إلى أن لله تعالى نفساً، وقرأ أحمد: (ويحذركم الله نفسه)، (كتب ربكم على نفسه الرحمة)، (واصطنعتك لنفسي)»، ثم قال: «وليست كنفس العباد التي هي متحركة متصعِّدة مترددة في أبدانهم، بل هي صفة له في ذاته، خالف بها النفوس المنفوسة المجعولة، وفارق الأموات»، «وحكى - رحمه الله - في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)، قال: تعلم ما في النفس المخلوقة ولا أعلم ما في نفسك الملكوتية (إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (المائدة/١١٦)، وأنكر على من يقول بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم - يعني: الجسم - على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلمْ يجُز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجئ في الشريعة ذلك، فبُطل»ا.هـ.

وصفة (النفس) الثابتة لله تعالى على النحو السالف الذكر واللائق بذاته، هي أول ما بدأ بها ابن خزيمة كتابه (التوحيد)، حيث قال - رحمه الله - ص ٣٢ ما نصه: «أول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا: ذكر نفسه، جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعز عن أن يكون عدماً لا نَفْس له، قال الله لنبيه: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ

عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ) (الأنعام/٥٤)، فأعلمنا ربنا أن له نفساً كتب عليها الرحمة، أي: ليرحم بها من عمل سوءً بجهالة ثم تاب من بعده - على ما دل عليه سياق الآية، وهو قوله: (أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام/٥٤) - وقال الله لكليمه موسى: (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى) (طه/٤٠، ٤١)، فأثبت الله أن له (نفساً) اصطنع لها كليمه موسى عليه السلام، وقال: (وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ) (آل عمران/٣٠)، فأثبت الله أيضاً في هذه الآية أن له نفساً، وقال روح الله عيسى ابن مريم مخاطباً ربه: (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ) (المائدة/١١٦)، فروح الله يعلم أن لمعبوده نفساً »اهـ.

كما نص على إثباتها الإمام الزاهد والفقيه الشافعي أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي (ت ٣٧١)، وذلك في كتابه (اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات)، فقال فيما نقله عنه ابن تيمية في الحموية ص ٤٢: «إن الله تعرف إلينا - بعد إثبات الوحدانية والإقرار بالألوهية - بإثبات نفسه بالتفصيل، فقال لموسى عليه السلام: (وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى) (طه/٤١)، وقال: (وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ) (آل عمران/٣٠)، ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام، قال: (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ) (المائدة/١١٦)، وقال: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ) (الأنعام/٥٤)، وأكد عليه السلام صحة إثبات ذلك في سنته فقال: (يقول الله عز وجل: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)، وقال: (كتب كتاباً بيده على نفسه: إن رحمتي غلبت غضبي)، وقال: (سبحان الله رضا نفسه)، وقال في محاجة آدم لموسى: (أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه)»، إلى أن قال: «فقد صح بظاهر قوله - سبحانه - أنه أثبت لنفسه نفساً، وأثبت له الرسول ذلك، فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه، ويكون ذلك مبنياً على ظاهر قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) (الشورى/١١)»ا.هـ.

وللإمام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن مندة (ت ٣٩٥ بكتابه (التوحيد) ٣/٧ كلام كثير في بيان ما جاء في ذكر (صفة النفس)، وقد صدَّر بها كلامه في (ذكر معرفة صفات الله التي وصف بها نفسه وأنزل بها كتابه وأخبر بها الرسول على سبيل الوصف لربه مبيناً ذلك لأمته)، «ذلك أن الله تعالى امتدح نفسه بصفاته، ودعا عباده إلى مدحه بذلك، وصدَّق به المصطفى وبين مراد الله فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته، وكان ذلك مفهوماً عند العرب غير محتاج إلى تأويلها فقال عز وجل: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ) (الأنعام/٥٤)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: (إني حرمت الظلم على نفسي)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب كتاباً على نفسه فهو عنده: إن رحمتي غلبت غضبي)، فبين مراد الله فيما أخبر عن نفسه، وبين أن نفسه قديم غير فانٍ بفناء الخلق، وأن ذاته لا توصف إلا بما وصف، ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم».

يقول ابن منده في تعليل تصديره لما عنون به: «وإنما صدرنا بهذا الفصل لئلا يتعلق الضالون عن الهداية الزائغون عن كتاب الله وكلام رسوله بالظاهر، فيتأولوا الصفات والأسماء التي في كتابه ونقلها الخلف الصادق عن السلف الطاهر عن الله وعن رسوله الذين نقلوا دين الله وأحكامه، وبلغوا جميع أوامر الله التي أمروا بإبلاغها من الصفات وغيرها من أمور الدين»، ثم طفق - رحمه الله - يسرد في صفة النفس جملة من الآي والحديث الموضحة لما جعله عنواناً للباب.

وفي إثبات صفة النفس لله تعالى يقول أبو عبد الله محمد الأندلسي المعروف بابن زمنين (ت ٣٩٩) بعد أن ذكر في كتابه (أصول السنة) ص ١١ آية (ويحذركم الله نفسه) ضمن آيات عديدة في إثبات الصفات: «ومثل هذا في القرآن كثير، فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله (وجهٌ) و(نَفْسٌ) وغير ذكر كما وصف به نفسه »ا.هـ..

ويقول ابن بطال (ت ٤٤٩) فيما نقله عنه ابن حجر

في الفتح ٣٩٦/١٣: «في هذه الآيات والأحاديث إثبات النفس لله، وللنفس معانٍ والمراد بنفس الله: ذاته وليس بأمر مزيد عليه، فوجب أن يكون هو»، وعبارة ابن حزم (ت ٤٥٦) في إثبات الصفة بـ (الفِصَل) ١٠٨/٢: «قد صح أن ذات الله تعالى ليست غيره، وأن وجهه ليس غيره، وأن نفسه ليست غيره، وأن هذه الأسماء لا يُعبر بها إلا عنه تعالى لا عن شيء غيره البتة»، ويقول القاضي أبو يعلى (ت ٥٢٦) في كتابه (الاعتقاد) ص ٢٧: «وتقر بأن لله نفساً لا كالنفوس بقوله تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) (آل عمران/٢٨)، وقوله: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه/٤١)، وروى البخاري بإسناده عن أبي هريرة قال، قال رسول الله: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»ا.هـ.

وممن نص على إثبات صفة (النفس): الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت ٥٣٥)، قال في كتابه (الحجة في بيان المحجة) ٥٤٩/٢: «وأهل السنة يطلقون ما أطلق الله في كتابه وما أطلقه رسوله في سنته مثل: السمع والبصر والوجه والنفس والقدم والضحك من غير تكييف ولا تشبيه، ولا ينفون صفاته كما نفت الجهمية»ا.هـ..

والحافظ أبو محمد عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠)، فقد ذكر في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ٤١ أن «مما نطق بها القرآن وصح بها النقل من الصفات: (النفس)»، ثم راح يستشهد على ذلك بآيات المائدة والأنعام وطه، وبحديثي (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)، و(لما خلق الله الخلق).. وموفق الدين ابن قدامة (ت ٦٢٠)، قال في كتابه (لمعة الاعتقاد) ص ٢٥ وما بعدها، ما نصه: «ومما جاء من آيات الصفات قول الله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام: (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) (المائدة/١١٦)»، ثم عقّب يقول: «فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرض لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله»ا.هـ..

كما توسع شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الرازي بخصوص هذه الصفة وغيرها وذلك في كتابيه (بيان تلبيس الجهمية) و(مجموع الفتاوى ٢٩٣/٩)، فليراجع.

المرجع لدى المتكلمة في تأويل النفس وغيرها من الصفات:

على أن مرجع المتكلمة في تأويل (النفس) وسائر الصفات ليس نصوص الوحي كما هو حال أئمة السنة، وإنما هو جهم وأتباعه، وعنهم يقول الحافظ الدارمي (ت ٢٨٠)، في رده على المريسي ص ٢٩٣ ضمن عقائد السلف: «أجمل المعارض جميع ما ينكر الجهمية من صفات الله وذاته المسماة في كتابه وفي آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعدَّ منها بضعاً وثلاثين صفة نسقاً واحداً، يحكم عليها ويفسرها بما حكم المريسي، وفسرها وتأولها حرفاً حرفاً خلاف ما عنى الله وخلاف ما تأولها الفقهاء الصالحون، لا يعتمد في أكثرها إلا على المريسي، فبدأ منها بالوجه.. وقوله: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (الفتح/١٠)، (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (الزمر/٦٧)، وقوله: (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور/٤٨)، (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/٢٢)، و(الرحمن على العرش استوى.. طه/٥)، (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) (آل عمران/٣٠)، و(كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام/١٢)، و(تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) (المائدة/١١٦)..

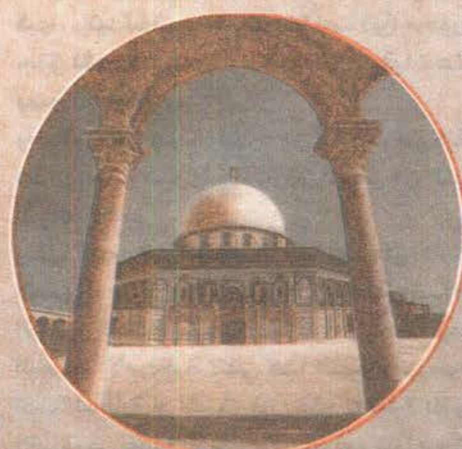
عمد المعارض إلى هذه الصفات والآيات فنسفها.. كما نظمها شيئاً بعد شيء ثم فرقها أبواباً في كتابه، وتلطف بردها بالتأويل كتلطف الجهمية، معتمداً فيها على تفاسير الزائغ الجهمي بشر بن غياث المريسي دون من سواه، مستتراً عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بها ويصدقون الله ورسوله فيها، بغير تكييف ولا تمثيل، فزعم أن هؤلاء المؤمنين يكيفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم.. وهذا خطأ لما أن الله ليس كمثله شيء، فكذلك ليس ككيفيته شيء»، ثم طفق - رحمه الله - يفند شبههم ويبطل حججهم بأدلة العقل والنقل.

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



قصة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان (٧)

إعداد/ عبدالرزاق السيد عيد



الحمد لله المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

أما بعد:

فمن السهل أن أذكر لك أخي الكريم الأحاديث الصحيحة التي رُويت في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، والتي تصف نزوله والهيئة التي سينزل عليها- إن شاء الله- والمكان الذي سينزل فيه والأحداث المواكبة لنزوله، وأعماله التي سيقوم بها ومدة بقائه في الأرض، كل ذلك قد جاءت به أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وهو الحق الذي سيدمغ الباطل الذي ملأ الدنيا فإذا هو زاهق؛ بعون الله.

ولعل سائل يسأل: لماذا لم تفعل ذلك إلى الآن؟

أقول جوابًا على ذلك: إن كمّ الزيف والتحريف والكذب الذي وقع في قصة نزول عيسى في آخر الزمان كبير، وترتب عليه ظلم وعدوان وقتل وإرهاب باسم الدين، والدين منه براء، إن هي إلا أوهام وأساطير نسجوها بأيديهم وقالوا: هي من عند الله، وما هي من عند الله، وكم أفسدوا بسببها في الأرض، وأحدثوا من فساد! وأشعلوا بسببها نار الحرب في أماكن كثيرة من العالم وفي منطقتنا على وجه الخصوص، وهنا سؤال يطرح نفسه: ما علاقة نزول عيسى عليه السلام بما يحدث الآن في منطقتنا؟

الجواب: العلاقة وثيقة، وهذا الذي لا يعلمه كثير من الناس، ولا أريد أن أسرد كلامًا مرسلاً، بل أريد أن أقدم الحقائق بأدلتها الدامغة حتى يكون كل مسلم على بصيرة بما يُحاك للإسلام والمسلمين، وأن يكون على علم بالواقع الذي يعيشه فليس من الحكمة أن أكون غافلاً بواقع الأمة أو متغافلاً، بل الحكمة كل الحكمة في معرفة كيف أتعامل معه بعد أن أعرفه جيدًا، ولن أكون مبالغًا إن قلت لك: إن ما يحدث الآن في المنطقة التي اصطلحوا على تسميتها منطقة الشرق الأوسط، ثم الشرق الأوسط الجديد، التي دعت إليها وزيرة الخارجية الأمريكية وما يقع في العراق وسوريا واليمن وتونس ومصر، وفي المنطقة بأسرها له علاقة بنزول عيسى لماذا؟ لأن نزول عيسى أو المسيح مرتبط في فكر الغرب وأمريكا بقيام دولة إسرائيل

من النيل إلى الفرات، وظهور إسرائيل وتفوقها وبناء الهيكل على أنقاض بيت المقدس والمسجد الأقصى في القدس، كل ذلك لا بد أن يحدث قبل نزول عيسى كما يعتقدون، ولهذا لا بد من دعم إسرائيل ومساعدتها على البقاء والتوسع؛ لأن هذا يحقق مشيئة الرب- كما يزعمون- وإسرائيل شعب الله المختار، والله يباركه مباركة ويلعن لاعنيه؛ هكذا يعتقد القوم ويؤمنون بعقيدة توراتية ويحسبون أنهم على خير وعلى صراط مستقيم.

وتسارع وتيرة الأحداث في المنطقة كشف لنا أمورًا كانت تحت الطاولة كما يقولون، لكنها الآن طفت على السطح، وظهرت بوضوح مما يدل على وصول المسلمين إلى درجة من الضعف صار معها لا يكترث أعداؤهم بما يقولون.

أخي القارئ الكريم قبل أن أفصح لك عن هذه الأمور، اسمح لي أن أسألك سؤالاً: كيف ينظر الغرب وأمريكا لنا؟ وكيف ينظرون لإسرائيل؟

نظرة الغرب المسيحي وأمريكا الصهيومسيحية تحكمها عقيدة مارتن لوثر التي أفصح عنها بوضوح في كتابه «المسيح وُلد يهوديًا»: «إن اليهود هم أبناء الرب ونحن الضيوف والغرباء وعلينا أن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها».

هذه هي عقيدة الغرب، وعقيدة أمريكا على وجه الخصوص، أما كيف يرى الغرب المسلمين وكيف تزاحم أمريكا، انظر ما يلي:

«إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون لا يمكن تحضرهم، وإذا تُركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بمجموعات بشرية إرهابية تدمِّر الحضارات وتقوض المجتمعات، ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في الاستعمار لتجنب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود أفعالهم». اهـ.

وقد أشارت الصحفية رانيا رفاعي في جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر في ٩ أكتوبر ٢٠١٤م إلى خطة تقسيم المقسم وتجزيء المجزأ التي اقترحها المدعو (برنارد لويس)، والتي أقرها واعتمدها الكونجرس الأمريكي في جلسة سرية عام ١٩٨٣م، ولويس هذا المولود من أسرة يهودية في لندن سنة ١٩١٦م، ودرس التاريخ واللغة وتخصص في تاريخ الشرق الأوسط وانتقل إلى أمريكا في ١٩٨٠م، وكان ممن شاركوا مع بوش ومستشاره ديك تشني في غزو العراق وقام بدور بارز في رسم السياسة الأمريكية في المنطقة، وها هو الكونجرس يتبنى مشروعه في تقسيم منطقة الشرق الأوسط، وكذا وزارة الخارجية الأمريكية تحت عناوين شتى يطول شرحها الآن.

هكذا ينظر الغرب إلينا وأمريكا على وجه التحديد، وينظر إلى إسرائيل، ولا أكون مبالغًا إن قلت: إن الذي يحكم أمريكا اليوم هم اليهود، بل ويحكمون العالم.

حقائق تتكشف

إن تسارع الأحداث على الساحة أظهر لنا أمورًا كنا نتوقف عن الجهر بها مع علمنا بحقيقتها، والآن لا يسعنا أن نسكت بعد أن جهر بها أصحابها ولم يراعوا في ذلك مشاعر أحد.

ولنا وقفة مع إحدى تصريحات سفيرة الولايات المتحدة بالقاهرة (آن باترسون) لصحيفة معاريف الإسرائيلية في يناير ٢٠١٣م التي قالت فيها: «إنها تشعر بفخر لأنها لعبت دورًا محوريًا حقق لشعب الله المختار التنبوءات التي قيلت عنه بصورة إعجازية».

وأضافت: «أن عودة اليهود من الشتات من كافة بلدان العالم صار وشيكًا وأرض الموعد من النيل إلى الفرات».

ونقل كثير من المواقع الإخبارية على شبكة المعلومات والصحافة المصرية الخاصة وشبكات التلفزة لتلك التصريحات أدى إلى مسارعة السفارة الأمريكية لنفي هذا التصريح، وسواء نفت السفارة أو أثبتت فإن هذه عقيدة القوم التي تربى عليها الصغار والكبار، نعم نشأ معظم

الأمريكيين البروتستانت منهم والكاثوليك على حد سواء، واسمح لي في عجالة أن أقدّم لك بعض الأدلة على ذلك:

قالت الكاتبة الأمريكية في كتاب «النبوءة والسياسة» والذي ترجمه الأستاذ محمد السماك وطبعته دار الشروق ٢٠٠٣م والكاتبة هي «جريس هالسل» قالت في مقدمة كتابها المشار إليه آنفًا: وهي تتحدث عن نفسها: «ولدت في مدينة ليبوك من أب وأم مسيحيين تربت وترعرعت على الإيمان بالديانة المسيحية، إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى «هرمجدون»، وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح، الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حد سواء، بصورة عامة يؤمن المسيحيين في مدينتي أن عمر الكون هو ستة آلاف عام، وأن مريم أم عيسى كانت عذراء وأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله أعطى الأرض المقدسة إلى شعبه المختار اليهود، ولأن اليهود هم شعبة المختار فإن الله يبارك الذين يباركون اليهود ويلعن لاعنيهم».

وتواصل القول: «كنا ندرس في أيام الآحاد في المدرسة كتابًا يتضمن صورًا ملونة عن مناطق بعيدة وعن رجال ملثمين يلبسون قفاطين فضفاضة وكنت أستمع إلى قصص العهد القديم حول استيطان «العبرانيين» في فلسطين». اهـ.

وهكذا تشير الكاتبة أنها ترعرعت على تعاليم العهد القديم وقصص العودة عودة اليهود إلى أرضهم فلسطين أن اليهود هم شعب الله المختار وقد وعدهم بأرض فلسطين وعلى هذه العقيدة تربى عامة المسيحيين في مدينتها.

إن الكاتبة تشير إلى اعتناق هذا الفكر وهذه العقيدة من قبل جميع الأمريكيين من مختلف المستويات منهم سياسيون ومنهم رجال فكر وعسكريون، ومنهم قساوسة... وأن هذه المعتقدات تبث من خلال قنوات تلفزيونية ضخمة تسمى بالكنائس المتلفزة ويشاهدها الملايين فضلاً عن تدريس هذا الكلام في مراحل التعليم المختلفة حتى الجامعة.

ويلخص لنا الكاتب رضا هلال في كتابه «المسيح اليهودي ونهاية العالم»، ط مكتبة الشروق سنة ٢٠٠٠م، يلخص لنا مراحل تطور هذا الاعتقاد في أمريكا فيما يلي:

«ولكن الانطلاقة الكبرى للمسيحية اليهودية ارتبطت بحركة الإصلاح البروتستانتي التي وصلت إلى ذروتها في القرن السابع عشر إذ طالبوا الحكومة البريطانية بأن تعلن التوراة دستورًا للبلاد واستعاضوا بالعادات اليهودية عن المسيحية بل إن بعضهم كان يلهج بالعبرية في الصلاة وتلاوة الكتاب المقدس.

وعندما وصل المهاجرون الأوائل من البروتستانت إلى العالم الجديد (أمريكا) كانت أساطير الشعب المختار وأرض الميعاد ومملكة إسرائيل هي المرشد والنبراس، وكانوا يصلون باللغة العبرية ويطلقون على أبنائهم أسماء من قصص التوراة وكان أول كتاب طبعوه في أمريكا هو كتاب «مزامير داود»، ومع حلول القرن الثامن عشر أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودي في فلسطين يشكل جانبًا مهمًا من اللاهوت البروتستانتي الأمريكي حيث أخذت معتقدات المسيح والعصر الألفي يستعيد مكانًا بارزًا، وبدخول أمريكا الصحوة الدينية العظمى في أربعينيات القرن التاسع عشر، أنتجت عن المسيحية اليهودية مسيحية صهيونية رفدت الثقافة والسياسة في الولايات المتحدة باعتقاد الالتزام بإقامة إسرائيل والانحياز لها كالتزام لاهوتي وثقافي ثم سياسي».

ويواصل الكاتب تلخيصه لهذا التاريخ المتصل بالواقع الحالي فيقول: «.. وفي الربع الأخير من القرن العشرين فقد شهدت الولايات المتحدة ابتداءً من عام ١٩٧٦م صعود المسيحية السياسية والأصولية أو ما اصطلح على تسميته «اليميني المسيحي»؛ إذ تحول الآلاف من الشباب إلى «مسيحيين ولدوا ثانية»، ومنهم رؤساء مثل ريجان، وقد ارتبط صعود المسيحية السياسية والأصولية بصعود المسيحية الصهيونية خصوصًا بعد انتصار إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧م، واختلالها القدس وهو الأمر الذي اعتبرته المسيحية الصهيونية الأمريكية تأكيدًا لصحة نبوءات التوراة وإعلانًا عن قرب مجيء المسيح.

وتوالى صعود اليمين المسيحي وفي طريقه إلى السيطرة على المسرح السياسي الأمريكي تحالف

اليمين المسيحي مع اليمين السياسي في الحزب الجمهوري يتشكل ما أصبح يعرف باسم «حزب الله» (أي: حزب الله الأمريكي وليس الشيعي)، وتزامن مع تزايد دور اليمين المسيحي الذي شمل أيضًا الكاثوليك الأمريكيين إلى جانب البروتستانت، أن أصبحت «الصهيومسيحية»، صفة لأمريكا لاهوتيًا وأخلاقيًا وثقافيًا، لدرجة قطع لسان من لا يضيف وصف «يهودية» إلى المسيحية في وصف أمريكا. اهـ. مختصرًا.

انظر كيف تغلغل اللاهوت اليهودي في ثقافة الشعب الأمريكي دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا داخليًا وخارجيًا، وقد أشار هلال في كتابه المشار إليه إلى هذا في صفحة١٤: «وشهد عقد التسعينات ترسيخ منظمات الأصولية المسيحية تحت مسميات: «الائتلاف المسيحي»، و«الإحياء الأصولي»، و«مجلس أبحاث العائلة»، و«التركيز على العائلة»، و«ائتلاف القيم التقليد»، كما ظهرت جماعات وميليشيات العُنف التي لجأت إلى التخريب والقتل لتقويض النظام الاجتماعي والسياسي، وإعادة تأسيسه وفق تعاليم الكتاب المقدس حتى تصبح عودة المسيح ممكنة، ولم تقتصر أجندة المسيحية السياسية والأصولية على تهيئة المجتمع الأمريكي بعودة المسيح، بل إنها ضمنت الأجندة رسالة صليبية عالمية ولم يقتصر دورها على السياسة الداخلية، بل أصبح لها دور مؤثر في السياسة الخارجية الأمريكية. اهـ.

وقد وصل سلطان المنظمات الصهيومسيحية إلى كبرى مؤسسات الدولة مثل الكونجرس والبنتاجون، بل ومؤسسة الرئاسة في البيت الأبيض فضلاً عن البنوك والإعلام.

أخي القارئ: بعد هذا العرض الذي اختصرناه اختصارًا تتعجب من تصريحات «آن باترسون» التي أراها تنسجم مع عقيدتها وعقيدة رؤساء أمريكا الذين وضعوها في هذا الموضع لتقوم بالدور الذي تتفاخر به في خدمة سيدتها إسرائيل، وقد نُقلت هذه السفيرة من مصر ووضعت مساعدة للخارجية لتستمر في أداء دورها في خدمة شعب الله المختار، وبعد هذا العرض لا تتعجب من وقوف أمريكا في صف إسرائيل على طول الخط في المحافل الدولية وغيرها، وتبرير أي إرهاب لإسرائيل وأي اعتداء وأي ظلم وأي قتل وأي سجن أو تعذيب تحت حجة واحدة ألا وهي الدفاع عن النفس، وأنها فوق الجميع لا تصلح معها قوانين الأمم المتحدة ولا غيرها.

إن هذا الاعتقاد متجدد في ضمير الأمة الأمريكية من القاعدة إلى القمة، ولقد ألقى كارتر خطابًا أمام الكنيست عام ١٩٧٩م قال: «جسّد من سبق من الرؤساء والأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هي أكثر من علاقات خاصة، إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكي نفسه، وفي أخلاقه وفي دينه وفي معتقداته». (المصدر السابق ص٨).

أرأيتم السر العميق في العلاقات الوثيقة بين أمريكا وإسرائيل، ومن أجل عيون إسرائيل يستبيحون كل محرم ويرتكبون كل منكر ويتنكرون لكل المواثيق زاعمين أن ذلك في مرضاة الرب لحماية شعبه المختار حتى لو استولى على كل العالم، ولست أدري عن أي إله يتحدثون؟! وعن أي شعب ينافحون؟! هل يقصدون الله الذي نزل في ضيافة إبراهيم وأكل عنده اللحم والخبز؟! أم هو الذي صارع يعقوب وصرعه يعقوب! ثم خدعه بعد ذلك؟! أم هو الذي يتعب ويستريح ويلعب مع الحوت ويعجز أحيانًا عن معرفة الصواب؟! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فلا تتعجب- أخي القارئ- فهذه أوصاف الإله عندهم في التوراة، أم هو الإله الذي نزل إلى الأرض وتجسد في صورة إنسان ثم صلبه اليهود وقتلوه- كما يزعمون-.

وعن أي شعب يتحدثون، عن الشعب الذي لعنه الله على لسان داود وعيسى ابن مريم، الشعب الذي آذى موسى وآذى رب موسى، وعبد العجل الذي صنعه بيده من دون الله، ثم كيف ينحاز الإله إلى شعب دون شعب. أليس الله هو الذي خلق السماوات والأرض وخلق الملائكة والجن والإنس وخلق كل متحرك وساكن وهو رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم مالك الدنيا ويوم الدين يوالي عباده الصالحين ويكره الكافرين الظالمين؟! أم ماذا؟! نبئوني بعلم إن كنتم صادقين.

الرد على شبهة عدم حاجة الناس لأهل الذكر



إعداد/ المستشار / أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد...

فما زال أعداء الإسلام يثيرون الشبهات لصرف الناس عن دينهم، فعمدوا - في المرحلة الأولى - إلى الطعن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، محاولين تنحيتها جانبًا، والاكتفاء بالقرآن الكريم، بزعم أنه كاف بنفسه ولا يحتاج إليها، ولم يكتفوا بذلك - فانتقلوا إلى المرحلة الثانية - بإثارة شبهة أن القرآن بيان بنفسه لقوله تعالى: « هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ » (آل عمران ١٣٨)، ولا يحتاج إلى من يبينه لهم، وإلا لما كان بيانًا، وبنوا على قولهم هذا أنه لا يوجد في الإسلام ما يسمى بعلوم الدين، ولا حاجة للمسلمين لأهل الذكر الواردين في قوله تعالى « فَسْأَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النحل: ٤٣)، فلكل مسلم أن يرجع إلى القرآن فيفتي نفسه بنفسه، وهدفهم من هذا، الوصول إلى تنحية القرآن جانبًا، وصرف المسلمين عن العمل به، تمهيدًا لردتهم عن الإسلام - وهي المرحلة الأخيرة من المخطط - مصداقا لقوله تعالى: « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ » (البقرة ١٠٩) وللرد على هذه الشبهة، وبيان كذبها، نعرض الآتي:

أولا: البيان قد يكون بذاته، أو بواسطة: أرسل الله عز وجل أنبياءه إلى أقوامهم، فكان كل نبي يرسل إلى قومه خاصة، ولأن محمدًا خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع، فقد أرسله ربه للثقلين، الإنس والجن، قال تعالى: « وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (سبأ ٢٨)

وقال صلى الله عليه وسلم: «وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصةً، وبُعثتُ إلى الناس عامة» (رواه البخاري)، والمعلوم يقينًا أن الناس متفاوتون في إلمامهم باللغة العربية، لغة القرآن الذي أنزل به، قال تعالى «إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (يوسف ٢)، فأكثر الناس الآن - من غير العرب - لا يعرفها، ولا يحسنها، ومن العرب من يعرفها ويتكلم بها، ولكنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فهل يمكن أن يتبين هؤلاء القرآن بأنفسهم؟!! أم يحتاجون إلى من يبينه لهم؟!! ولو قام غيرهم ممن يحسن قراءة القرآن ببيانه لهم، هل ينتفي عنه أنه بيان للناس؟!! لم يقل بهذا الفهم الضال أحد من أهل العلم المعتبرين، ولا من عقلاء الناس، وهو ما يدحض ما ذهبوا إليه من زيغ وضلال، إذ لو كان بيانًا بنفسه لقرأه هؤلاء وفهموه، وبان لهم!!

بل ليس كل من يحسن القراءة يستطيع أن يتبين كل ما جاء في القرآن بنفسه، إذ إنه يحتاج في بعضه إلى من يبينه له، فالنبي صلى الله عليه وسلم، كان يبين لأصحابه ما أشكل عليهم، والأمة - بعد وفاته - تحتاج إلى بيان العلماء أهل الذكر لما أشكل عليها، ولا ينفي بيانه صلى الله عليه وسلم، أو بيان العلماء للقرآن أنه «بيان للناس» ومما يؤيد ذلك أن الله أنزل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، منه آيات بينات لا تحتاج إلى تبيين من أحد، ومنه ما يحتاج إلى تبيين، قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ» (آل عمران ٧).

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب) أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه (وأخر متشابهات) أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد). اهـ.

وقال: «قال تعالى: (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل (فيتبعون ما تشابه منه) أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه، لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: (ابتغاء الفتنة) أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) (الزخرف: ٥٩)، وبقوله: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (آل عمران: ٥٩) وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله، وعبد ورسول من رسل الله.

وقوله: (وابتغاء تأويله) أي: تحريفه على ما يريدون، وقال مقاتل والسدي: يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن...

وقوله (وما يعلم تأويله إلا الله) اختلف القراء في الوقف هاهنا، فقيل: على الجلالة، كما تقدم عن ابن عباس، ومنهم من يقف على قوله: (والراسخون في العلم) وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد.

وقوله إخبارا عنهم أنهم (يقولون آمنا به) أي: بالمتشابه (كل من عند ربنا) أي: الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له، لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد لقوله: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ

«لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء: ٨٢) ولهذا قال تعالى: (وما يذكر إلا أولو الألباب) أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة». اهـ.

فالقرآن ينقسم إلى أربعة أقسام في تفسيره، وبيانه، هي:

القسم الأول: ما لا يعذر أحد بجهله:

وهذا يشمل الأمر بالفرائض، والنهي عن المحارم، وأصول الأخلاق والعقائد، فقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» (البقرة:٤٣)، وقوله: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (آل عمران: ٩٧)، وقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة:١٨٣) لا يعذر أحد بجهل مثل هذه الخطابات وهو يقرأ القرآن، وكذا يدخل فيه ما جاء من أمر بالصدق والأمانة والنهي عن الكذب والخيانة، وعن إتيان الفواحش، وغير هذه من الأوامر والنواهي المتعلقة بالأخلاق، ويدخل فيه ما يتعلق بالعقائد ؛ كقوله تعالى: « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (محمد ١٩)، وقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء:٢٥)، وغيرها من الأوامر والنواهي المتعلقة بالتوحيد، هذه كلها داخلة في الواجب الذي يجب على المسلم تعلمه من التفسير.

القسم الثاني: ما تعرفه العرب من كلامها:

يشمل هذا القسم ألفاظ القرآن، وأساليبه في الخطاب، وذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى طرائقهم في الكلام، وهذه الألفاظ والأساليب معلومة لديهم غير خافية، وإن كان قد يخفى على أفراد منهم شيء منها، وذلك لغرابتها على مسمعه، أو لعدم اعتياده عليها في لغة قومه، كما خفي على ابن عباس رضي الله عنهما بعض معاني مفرداته ؛ كلفظ فاطر، فقد روى الطبري عن مجاهد، قال: «سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض؛ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: لصاحبه: أنا فطرتها ؛يقول: أنا ابتدأتها» وكما خفي على عمر رضي الله عنه، معنى «أبا» (أي: الكلأ والمرعى التي ترعى عليه الماشية)، فقد قرأ عَبَسَ وَتَوَلَّى فلمَّا أتى على هذه الآية «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» قال: عرفنا ما الفاكهة، فما الأبُّ؟ فقال: لعَمرُك يا ابنَ الخطَّاب إنَّ هذا لهوَ التَّكلُّف» (أورده ابن كثير في تفسيره) فإذا خفي هذا على عمر وابن عباس، فخفاؤه على من هم دونهما الآن من باب أولى.

القسم الثالث: ما يعلمه العلماء:

ومما يشمله هذا القسم، ما تشابه منه على عامة الناس، سواءً أكان في الأحكام أم في المعاني، وهذا القسم من فروض الكفاية، وهو كثير في القرآن؛ لأن كل من خفي عليه معنى فإنه من المتشابه عنده، فيحتاج إلى أن يبحث أو يسأل عن ما خفي عليه فهم معناه، ومنه أحكام الربا، والطلاق، والمواريث.

القسم الرابع: ما لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه فقد كذب:

ويشمل هذا حقائق المغيبات، ووقت وقوعها، فالدابة التي تخرج في آخر الزمان، الواردة في قوله تعالى: «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» (النمل ٨٢) لا يعلم كيفية حقيقتها إلا الله، ولا يعلم وقت خروجها إلا الله. وهكذا سائر الغيبيات، وهذا النوع غير واجب على أحد، بل من تجشم تفسيره فقد أثم وافترى على الله، وادعى علمًا لا يعلمه إلا الله سبحانه.

وقد جمع هذه الأقسام الطبري - رحمه الله - في تفسيره، فقال: «ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله: قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه، لنبيه محمد: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل: ٤٤) وقال أيضًا جل ذكره: «وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (النحل: ٦٤) وقال: «هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (آل عمران: ٧).

فقد تبين ببيان الله جل ذكره: أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه، ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول. وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره - واجبه وندبه وإرشاده - وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله لأمته.

وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله له تأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها، دالة أمته على تأويله. وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار. وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى ابن مريم، وما أشبه ذلك: فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه. وبذلك أنزل ربنا محكم كتابه، فقال: « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (الأعراف: ١٨٧).

وكان نبينا محمد إذا ذكر شيئًا من ذلك، لم يدل عليه إلا بأشراطه دون تحديده بوقته كالذي روي عنه أنه قال لأصحابه، إذ ذكر الدجال: " إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه، وإن يخرج بعدي، فالله خليفتي عليكم "، وما أشبه ذلك من الأخبار الدالة على أنه لم يكن عنده علم أوقات شيء منه بمقادير السنين والأيام، وأن الله جل ثناؤه إنما كان عرفه مجيئه بأشراطه، ووقته بأدلته.

وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن. وذلك: إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم. وذلك كسامع منهم لو سمع تاليًا يتلو: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ » (البقرة: ١١، ١٢) لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضرة، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما في فعله منفعة، وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفسادًا، والمعاني التي جعلها الله إصلاحًا.

فالذي يعلمه ذو اللسان الذي بلسانه نزل القرآن من تأويل القرآن، هو ما وصفت: من معرفة أعيان المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيئاتها التي خص الله بعلمها نبيه، فلا يدرك علمه إلا ببيانه، دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه. وبمثل ما قلنا من ذلك روي الخبر عن ابن عباس: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره. قال أبو جعفر: وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس: من أن أحدًا لا يعذر بجهالته، معنى غير الإبانة عن وجوه مطالب تأويله. وإنما هو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به. وقد روي بنحو ما قلنا في ذلك أيضاً عن رسول الله خبر في إسناده نظر: حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت عمرو بن الحارث يحدث، عن الكلبي، عن أبي صالح، مولى أم هانئ، عن عبدالله بن عباس: أن رسول الله قال: " أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره، ومن ادعى علمه سوى الله تعالى ذكره فهو كاذب ، قال عنه الألباني: ضعيف جدا» اهـ.

ومما يؤيده أيضا، ورود كلمة «يسألونك» للنبي صلى الله عليه وسلم، في القرآن ثلاث عشرة مرة، بما يدل على أن إجابته صلى الله عليه وسلم على هذه الأسئلة بيان للقرآن، يدخل تحت قوله «هذا بيان للناس».

والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

فتاوى الأزهر الشريف واللجنة الدائمة

تكبير العيدين

السؤال: لماذا نكبر في عيد الأضحى أكثر مما نكبر في عيد الفطر وما هي أيام التشريق ولماذا سميت بذلك؟

الجواب: التكبير في العيدين سنة عند جمهور الفقهاء، قال تعالى في آيات الصيام «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ» البقرة: ١٨٥، وحمل التكبير على تكبير عيد الفطر، وقال في آيات الحج «وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ» البقرة: ٢٠٣، وقال «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» الحج: ٢٨، وقال تعالى «كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ» الحج: ٣٧، وحمل الذكر والتكبير على ما يكون في عيد الأضحى.

وجمهور العلماء على أن التكبير في عيد الفطر من وقت الخروج إلى الصلاة إلى ابتداء الخطبة، وبه قال مالك وأحمد، وقال قوم: إن التكبير يكون من ليلة الفطر حتى يخرج الإمام إلى الصلاة أو حتى يدخل فيها.

ووقت التكبير في عيد الأضحى من صبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، ولم يثبت في ذلك تحديد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصح ما ورد فيه عن الصحابة قول علي وابن مسعود: إنه من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منًى، وبهذا أخذ الشافعي وأحمد.

وإذا كان أصل التكبير في عيد الأضحى هو للحُجاج، لأنهم يذبحون الهدي والفداء، ويكبرون الله ويذكرونه عند الذبح وكذلك عند رمي الجمرات، فإن غير الحجاج يكبرون أيضا كما هو وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ ففي حديث مسلم عن أم عطية في خروج النساء إلى مصلى العيد في الفطر والأضحى، تقول: والْحُيِّض يكن خلف الناس يكبرن مع الناس، وللبخاري عنها أيضا: كنا نؤمر أن نخرج الحيض فيكبرن بتكبيرهم.

يؤخذ من هذا أن التكبير في العيدين سنة، وكانت مدته في الفطر أقل من الأضحى؛ لأن القربة إلى الله في عيد الفطر كان أهمها الصلاة وإخراج زكاة الفطر، أما في عيد الأضحى فالقربة برمي الجمار والذبح ممتدة إلى ثلاثة أيام بعد يوم العيد.

وسميت أيام التشريق بذلك الاسم؛ لأن العرب كانوا يُشققون اللحم لكثرته ويعرضونه لحرارة الشمس حتى يجف، ثم يحملونه معهم بعد عودتهم من الموسم، وتلك كانت طريقة حفظ اللحوم إذ ذاك. وقيل: سميت بهذا الاسم أخذا من قولهم: أشرق ثبير كيما نغير. وثبير جبل بمنى كما يقول ابن الأثير في النهاية، والمعنى: ادخل أيها الجبل في الشروق وهو ضوء الشمس، كيما نغير، أي ندفع للنحر، وقيل: لأن الهدي لا يُنحَر حتى تشرق الشمس، وقيل غير ذلك.

ففي عيد الفطر شرع الله الصلاة وإخراج زكاة الفطر، وذلك في يوم واحد، وجعل من

تمام الفرح عدم صيام هذا اليوم؛ لأننا في ضيافة الله يكرمنا بعد اجتيازنا امتحان الصيام بنجاح، وفي عيد الأضحى تشرع في يومه الصلاة والأضحية، وقبله الوقوف بعرفة، وبعده رمي الجمرات وذبح الهدي فكانت المدة المناسبة أكبر من مدة عيد الفطر، والصيام حرام في يوم العيد وثلاثة أيام بعده نكبر ونذبح ونفرح بما أنعم الله علينا. فالحجاج في ضيافة الله في يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق، ونحن هنا نشارك الحجاج فرحتهم بما نقدر عليه من مظاهر مشروعة.

(المفتي: الشيخ/ عطية صقر)

زكاة الذهب المعد للاستعمال

الفتوى رقم (١٧٩٧)

س: إنني أرغب من فضيلتكم إفادتي وإخواني عن موضوع زكاة الذهب أو الحلي الذهبية والفضية المعدة للاستعمال، وليس للبيع والشراء، حيث إن البعض يقول: إن المعد منها للبس ليس فيه زكاة، والبعض الآخر يقول: فيها زكاة سواء للاستعمال أو للتجارة، وأن الأحاديث الواردة في زكاة المعدة للاستعمال أقوى من الأحاديث الواردة بأنه لا زكاة فيها، آمل من سعادتكم التكرم بإجابتي خطيًا عن ذلك إجابة واضحة جزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ج: أجمع أهل العلم على وجوب الزكاة في حلي الذهب والفضة إذا كان حليًا محرم الاستعمال، أو كان معدًا للتجارة أو نحوها. أما إذا كان حليًا مباحًا معدًا للاستعمال أو الإعارة كخاتم الفضة وحلية النساء وما أبيح من حلية السلاح، فقد اختلف أهل العلم في وجوب زكاته؛ فذهب بعضهم إلى وجوب زكاته لدخوله في عموم قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ الآية، قال القرطبي في تفسيره ما نصه: وقد بين ابن عمر في صحيح البخاري هذا المعنى، قال له أعرابي: أخبرني عن قول الله تعالى: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، قال ابن عمر: (من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال) اهـ. ولورود أحاديث تقضي بذلك ومنها ما رواه أبو داود والنسائي والترمذي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟»، فخلعتهما فألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: هما لله ولرسوله، وما روى أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه والدارقطني والبيهقي في سننهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي فتخات من ورق فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله، قال: أتؤدين زكاتهن؟ قلت: لا، أو ما شاء الله، قال: هو حسبك من النار».

وما رووا عن أم سلمة قالت: كنت ألبس أوضاحًا من ذهب فقلت: يا رسول الله، أكنز هو؟ فقال: ما بلغ أن يؤدى زكاته فزكي فليس بكنز.

وذهب بعضهم إلى أنه لا زكاة فيه؛ لأنه صار بالاستعمال المباح من جنس الثياب والسلع، لا من جنس الأثمان، وأجابوا عن عموم الآية الكريمة بأنه مخصص بما

جرى عليه الصحابة رضوان الله عنهم، فقد ثبت بإسناد صحيح أن عائشة رضي الله عنها كانت تلي بنات أخيها يتامى في حجرها لهن الحلي فلا تخرج منه الزكاة، وروى الدارقطني بإسناده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أنها كانت تحلي بناتها بالذهب ولا تزكيه نحوًا من خمسين ألفًا، وقال أبو عبيد في كتابه الأموال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أنه كان يزوج المرأة من بناته على عشرة آلاف؟ فيجعل حليها من ذلك أربعة آلاف، قال: فكانوا لا يعطون عنه يعني الزكاة، وقال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن عمرو بن دينار قال: سئل جابر بن عبد الله: أفي الحلي زكاة؟ قال لا، قيل: وإن بلغ عشرة آلاف قال: كثير، وأجابوا عن الأحاديث الواردة نصًّا في وجوب الزكاة فيه بأن في أسانيدها ما يضعف الاحتجاج بها، فقد وصفها ابن حزم في المحلى بأنها آثار واهية لا وجه للاشتغال بها، وقال الترمذي بعد روايته حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لا يصح في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء، وقال ابن بدر الموصلي في كتابه المغني عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح فيه شيء من الأحاديث في الباب: باب زكاة الحلي، قال المصنف: لا يصح في هذا الباب شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء عن الشوكاني في السيل الجرار تعليقًا على كتاب المغني عن الحفظ والكتاب، لم يرد في زكاة الحلي حديث صحيح وقال بعضهم: زكاته عاريته.

والأرجح من القولين قول من قال بوجوب الزكاة فيها، إذا بلغت النصاب، أو كان لدى مالكيها من الذهب والفضة أو عروض التجارة ما يكمل النصاب؛ لعموم الأحاديث في وجوب الزكاة في الذهب والفضة، وليس هناك مخصص صحيح فيما نعلم، ولأحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة المتقدم ذكرها، وهي أحاديث جيدة الأسانيد، لا مطعن فيها مؤثر، فوجب العمل بها. أما تضعيف الترمذي وابن حزم لها والموصلي فلا وجه له فيما نعلم، مع العلم بأن الترمذي رحمه الله معذور فيما ذكره؛ لأنه ساق حديث عبد الله بن عمرو من طريق ضعيفة وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طريق أخرى صحيحة، ولعل الترمذي لم يطلع عليها.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

أين يُصلى العيد؟

المفتي/ الشيخ عطية صقر

السؤال: هل الأفضل صلاة العيد في الخلاء أم في المسجد؟

الجواب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم أصابهم مطر في يوم عيد فصلى بهم صلى الله عليه وسلم صلاة العيد في المسجد، رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم، وسكت عنه أبو داود والمنذري، أي لم يبينا درجته، وهو حديث ضعيف في إسناده رجل مجهول، وهو عيسى بن عبد الأعلى، قال فيه الذهبي: لا يكاد يُعرف، وقال: هذا حديث منكر.

وأكثر الأحاديث الواردة في صلاة العيد تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها في «المصلى» والمراد به غير المسجد، وعبر عنه أحيانا بالجبانة. وهذا الحديث على

الرغم من ضعفه، يفيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام صلاها في المسجد لعذر المطر، حيث لا يوجد في المصلى ما يتقى، ومن هنا اختلف العلماء في أفضلية صلاة العيد، هل تكون في المصلى أو في المسجد، فالإمام مالك يقول: إن فعلها في الجبانة أي في غير المسجد، أفضل، واستدل بما ثبت من مواظبته عليه الصلاة والسلام على الخروج إلى الصحراء، فإن كان هناك عذر كمطر فالأفضل المسجد.

والإمام الشافعي ذهب إلى أن المسجد أفضل، لأنه خير البقاع في الأرض، والأحاديث واردة بكثرة في فضل التردد عليها والصلاة فيها، قال في الفتح: قال الشافعي في الأم: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في العيدين إلى المصلى بالمدينة، وهكذا مَنْ بَعْدَه إلا من عذر مطر ونحوه، وكذا عامة أهل البلدان إلا أهل مكة، ثم أشار الشافعي إلى أن سبب ذلك سعة المسجد وضيق أطراف مكة، قال: فلو عمر بلد وكان مسجد أهله يسعهم في الأعياد لم أر أن يخرجوا منه، فإن لم يسعهم كرهت الصلاة فيه ولا إعادة، قال الحافظ: ومقتضى هذا أن العلة تدور على الضيق والسعة لا لذات الخروج إلى الصحراء، لأن المطلوب حصول عموم الاجتماع، فإذا حصل في المسجد مع أولويته كان أولى.

فأنت ترى أن حجة الأولين هي فعله صلى الله عليه وسلم وهو قدوة حسنة، لكن يقال: إن الفعل واقعة حال لا تنفي غيرها، ولم يرد من الرسول عليه الصلاة والسلام أمر بفعلها في غير المسجد عند الاختيار، ولا نهي عن فعلها في المسجد، ولعل اختيار الرسول فعلها في غير المسجد كان لأمرين، الأول ضيق المسجد لأنه دعا النساء أيضا لشهود صلاة العيد، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، حتى الحيض منهن، والحيض لا يدخلن المسجد، والثاني إظهار شعيرة من شعائر الإسلام وإعلان الفرح بيوم العيد لما فيه من فضل الله على المسلمين، والاجتماع الواسع شعار كل الناس في أعيادهم، والتوجيهات التي يلقيها على الحاضرين تعم أكبر عدد من المسلمين لم يكن ليوجد لو حضروا في المسجد، ولذلك عندما حث على الصدقات توجه إلى حيث يجتمع النساء وذكرهن ووعظهن فجمع منهن خيرًا كثيرًا لمساعدة من لا يجدون سعة ولا يستطيعون التمتع ببهجة العيد لضيق ذات أيديهم.

ويقع في نفسي بناء الحكم على نتيجة إقامة الصلاة وأثرها، فإن كان هناك مسجد واحد كبير في محلة يسع كل الناس بما فيهم من لا يصلون العيد كانت صلاتها فيه أفضل، وذلك لأفضلية المسجد على غيره، ولحصول التجمع وفرصة التلاقي، وتبادل التهاني بين كل أهل البلدة.

فإذا تعددت المساجد وضاق مسجد واحد عن استيعاب أهل البلد كان فعلها في الخلاء أفضل، وذلك لأن التعارف وتبادل التهاني وشهود التوجيهات العامة الموحدة يحدث في المصلى بشكل لا يوجد في كل مسجد على حدة، حيث لا يتم التعارف الشامل، والإسلام يحب من المسلمين أن يظهروا وحدتهم وتعاونهم، وفي تجمعهم على شكل واسع إعلان عن قوة الإسلام ودعاية تجتذب لها قلوب غير المسلمين، والمظاهر إذا كانت تستهدف خيرا كانت مشروعة، وشواهد ذلك كثيرة.

بيان أنصار السنة حول الأحداث الجارية

الحمد لله رب العالمين، معز من أطاعه، ومذل من عصاه، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين حبيبنا رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم، وبعد:

لقد أحزننا ما وقع وما يقع في مناحي متفرقة من العالم الإسلامي من أصحاب الأفكار الضالة، والعقائد الفاسدة، ممن ينسبون أنفسهم - ظلماً وعدواناً - إلى الإسلام، استباحوا واستحلوا ما حرمه الله -سبحانه وتعالى- فقتلوا وحرقوا ودمروا دون وازع من ضمير أو خوف من رب العالمين، طُمس على قلوبهم وعقولهم ، راحت أيادي الغدر تقتل وتدمر وتحرق وتخرب؛ هدفها إثارة الفوضى والذعر في أنحاء العالم.

ففي تونس وفي مصيف سوسه السياحي تم اقتحام المنتجع السياحي وخلف الهجوم الغادر ٩٣ قتيلاً، وأكثر من ٦٣ جريحاً.

وفي الكويت الشقيق، وفي إصرار على تشويه الإسلام ممن يدعون الانتساب إليه، قام واحد من أصحاب الأفكار الضالة بتفجير مسجد الإمام الصادق الذي كان يصلي به أكثر من ألفي مصل، حيث قام الإرهابي بتفجير نفسه فقتل أكثر من ثلاثين مصلياً وجرح أكثر من مائتي مصل .

وفي استكمال لمسلسل نشر الذعر والهلع والفوضى امتدت يد الغدر إلى مصر، فكان ضحية غدرهم النائب العام المستشار هشام بركات رحمه الله الذي لقي ربه صائمًا عبر هجوم خسيس على موكبه أثناء توجهه إلى عمله.

ومازالت أيادي الغدر والخيانة - ونحن في شهر رمضان - تضرب بلا وازع من ضمير أو دين، ومازال أصحاب الأفكار الضالة من التكفيريين ممن ينسبون أنفسهم إلى الإسلام ظلماً وعدواناً ، والإسلام من أفعالهم براء، حيث قاموا بمهاجمة ٩١ كميناً للقوات المسلحة والشرطة المدنية بمدينة الشيخ زويد بسيناء، وقتلوا وجرحوا العشرات من أعز أبنائنا الذين يدافعون عن أرض الوطن .

إن الارهاب الأسود يطل برأسه من حين لآخر في محاولة لزعزعة أمن واستقرار الوطن وسلامته، ولن ينال ذلك كله من عزيمة المصريين في التصدي للإرهاب ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحمي مصر والمصريين من شرور وعمل المفسدين .

وجماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام وفروعها في أنحاء مصر، ومجلة التوحيد ومحرروها، إذ يدينون تلك الأعمال الخسيسة التي تعبر عن إفلاس من قاموا بها ، يدعون الله العلي القدير في هذا الشهر العظيم أن يرد كيد أعداء مصر في نحورهم ، وأن يشغلهم بأنفسهم ، وأن يحفظ مصر من كل مكروه وسوء، وأن يحفظ شعبها وجيشها من كيد الكائدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

رئيس التحرير